

## تصدير

بدأت تظهر في العقود الأخيرة اهتمامات متميزة بأدب الطفل وثقافته.

وإذا كانت ماثورات الحضارة العربية الإسلامية تحمل بذورا طيبة وقواعد صالحة في مجال العناية بالطفل جسما وروحا ، فإن ما تعنيه ثقافة الطفل في العصر الحديث تستوجب اهتماما أوسع ، ومنظورا أشمل تبعا لتوسع مدارك الإنسان عموما ، وشمولية استعداداته لمسيرة التقدم والتطور.

وكان لسرعة التطور والتقدم في العهد الحديث ما يجعل ذلك الاستعداد يستوجب السرعة من ناحية ، والاتقان من ناحية أخرى. ومعلوم أن اختلاف الأجيال في التلقي والتكيف مسيرة لاختلاف الأزمنة ذاتها نقطة هامة في تربية الأجيال. وماثورة عمر بن الخطاب في التنبيه إلى أن « ... أطفالكم مخلوقون لزمان غير زمانكم » هي أصدق ما تكون انطباقا على أبناء الوطن العرب المعاصرين تبعا للتحوّل المهول الذي يسيّر الأوضاع الإنسانية كافة في تيارات التسابق والقفز نحو التطور التقني والتكنولوجي.

وشأن التابع المقلّد فانه كثيرا ما ينزلق في مهاوي الارتجال والسرعة في الملائمة ، ومحاولة الوصول إلى

الكسب بأقصر السبل ، وأيسر الوسائل، وهذا ما جعل المنتج الثقافي والإبداع الأدبي - بصفة أخص - يقع في محذور يتمثل في أشياء متعددة ابتداءً من محاولة سد الفراغ إلى سفالة الموضوع مما يزرع في الطفل بذور تكوين لها عواقب القناعة بمظاهر التخلف والتبعية في أقل الاحتمالات. وكانت الغاية التجارية الصّرف السمة الغالبة على الانتاج الموجه للأطفال.

وكان هذا الإقبال على هذا النوع من « الإنتاج » المغشوش مدعوماً بأسباب عديدة منها : جهل أغلب الأولياء للقواعد الأساسية للمادة المقدمة للطفل ، ومنها الفراغ المهول الذي يسود فضاء عالم الطفل ، ومنها صمت المسؤولين عن حظوظ **الطفل** من عدم مراقبة ذلك الغذاء الموجه إلى عقول الأطفال وأذواقهم مما يعتبر غشا لا يعاقب عليه ، ومنها انعدام الضمير الحي عند الكثير من منتجي ذلك الإنتاج ونشريه سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات.

وبعد فإن هذه القضية - وإن تبدو بعيدة عن اختصاص هذه المجلة فإنها - على عكس هذا الافتراض ، تكون منها في الصميم ؛ فزيادة على مقولة « أطفال اليوم رجال الغد » فإن هذه المجلة لها صلة وثقى وأرضية واسعة لدى الفتيان والشباب. وإنها لمعتزة فخورة باحتضانها للكثير منهم حتى أصبحوا من رواد القصة ومن أبرز معلمها وروادها.

### قصص

## بوراي عجينة

### ألنورس

أزحتُ أصابعي المتعبة عن السَّيَّاحِ الحجريِّ الفاصل بين  
المدينة الصَّاخبة والبحر الشَّاسع الممتدَّة أطرافه حتَّى الأفق ؛  
نزعت حذائي وتأبَّطتُه ، وشرعت أسير على بساط من الرَّمْلِ  
دقيق بارد متَّجها إلى المياه الزرقاء ، فاتحا صدري وذراعيَّ  
لاستنشاق هواء نقيّ.

واستقبلني عبير البحر مضمخًا بروائح الطحلب  
ورذاذ الملح وطعم الأسماك. وتخذرت برطوبة اصَّاعدت من  
أخمص قدمي حتَّى قمة رأسي ، وهزَّتني تموجات لذیذة هادئة  
، ما فتئت تبعد عني طيف أسبوع كامل ، قضَّيته أبني  
لبنات من المعرفة ، وأرصف أنماطا من السلوك داخل رؤوس  
شابة نامية ، أملأ أن ترتفع يوما ما صرَّحا يصمد في وجه  
الأعاصير القادمة.

سيعود رفيق الشَّبَاب هذا المساء من بلاد النُّلُوج  
والصقيع ، محملاً بحقائبه الثقيلة المليئة أمتعة وكتباً  
وشهائد عالية بعد سويعات فقط سأحضنه بدفء الكهولة  
وحراة النَّب ، سيرنو بوجهه المتدفَّق حياة إلى شمس  
ربيعنا الزاهية ، فتذوب منه الأحزان وتتبخَّر أتعاب

السَّنين، وتزول وحشة المدن القاتلة ، وتَينع شجرة مثمرة  
أخرى في أرضنا الخصبة المعطاء.

سيجلس أحدنا حذو الآخر إلى طاولتنا المفضلة ،  
نرتشف فناجين القهوة يصاعد منها دخان عطر ، ونثرثر كما  
نشاء ، يلفنا ضجيج خافت مريح ، يغدو المارة أمامنا  
ويروحون ، ونُحيي ما قبرنا من ذكريات السنين.

نزعت قدمي من الرَّمْل المبلل قرب الماء ، وتسَلّقت  
صخورا كانت ملقاة على الشاطئ بإهمال. قاعدتها غارقة في  
البحر ، وعلى جوانبها نُمّت طحالب شديدة الخضرة ، لصقت  
بها حيوانات صَدَفِيَّة ورَتعت عليها أسراب من السَّرطان  
تظهر وتختفي.

جلستُ على أعلى صخرة ، وأخذت أنظرُ الى الخطّ  
الأفقي المقوَّس البعيد حيث تعانقت المياه الزرقاء الداكنة  
وغيوم السماء الرَّمَادِيَّة ورأيت الأمواج تتسابق ، يعلوها زبدٌ  
ذو رغوة بيضاء ؛ وتابعت عيناى خيال مركب شراعى مسرع  
في عودته إلى الميناء ، وتداخل غيمة في غيمة أخرى ،  
وزحف صفوف متوازية من الأمواج ، متّجهة في خطّ مائل  
نحو الرَّمْل وكنت أنصت من حين الى آخر إلى صراخ حادّ  
منبعث من طيور النُّورس المحلّقة في الفضاء بدون نظام.

قبعْتُ هناك على صخرة هادئا ، ساكنا ، طاردا من  
خيالي متاعب المدينة الصاخبة ، غير مكترث بعقارب الزّمن



تدور كما تشاء ، قبل قدوم الليل ، مصحوبا بصديق العمر ،  
كأنني صبيّ جالس على عتبة منزله ، أو فوق السطوح  
ينتظر ظهور طيف جارته الحسناء ليروي من حسناتها عينيّه،  
قبيل أن تغيب في الزحام ، غير مبال بمرور الزمن.

وتزحف نحوي الأمواج متفاوتة الحجم ، تقترب منّي  
إحداها متوسطة الارتفاع ، فيما أن تلامس جانب الصخرة  
حتى تتكسر عليه مثيرة حولها رغبة من الزبد المتناثر في  
الفضاء رذاذا رقيقا كالدخان مالحا ، ما فتئت أن تلاشت  
راجعة إلى المياه المتحركة المتلاطمة.

ثم تنمو موجة صغيرة ، ما أن تلامس الحاجز الناتئ  
الثابت فوق الماء حتى تنسحب متراجعة إلى الوراء ، مفضلة  
اللين والمراوغة على المواجهة... وتذوب كمثيلات في خضمّ  
المياه الشاسعة المتصاعدة حينها النازلة حينها آخر.

ثم تتبعها موجة عالية شديدة الارتفاع فترطم  
بالصخرة الصلبة ارتطاما وتتكسر عليها بعنف وصخب  
ودويّ ، كأنها ستعرج الى السماء ، متطايرة سحابات من  
الرّذاذ والدخان ، ولكن لم تلبث أن انهزمت هي الأخرى  
وعادت الى سطح الماء الذي انطلقت منه وتنتشر عليه  
كالبساط المتحرك.

ويشدّ ناظريّ نورس شابّ ، عريض الجناحين ، صغير  
الرأس ، ضامر الجسم ، دقيق المنقار ، ما فتئ يحلق فوق

الصَّخُور ناظرا الى الماء متأملا بعين ثاقبة ما تخبئه أعماقه  
من أسرار . ويظلّ الطائر ساكنا في الفضاء برهة من الزمن  
كما لو كان يفكر في شأن عظيم قبل قضائه . وفجأة يرتمي  
بقوة في الماء يسبقه رأسه إلى الأسفل بسرعة مذهلة كأنه  
حجارة ألقي بها من السَّمَاء فسقطت إلى الأرض مسرعة في  
خطّ عموديٍّ مستقيم.

لعلّ النّورس لمح سمكة تلهو بمفردها أو سربا متنقلا  
من الأسماك فجمع الصياد الملقّ كل طاقته وألقي بخطه في  
أعماق الماء وغاب فيها ؛ إلا أنّه لم يلبث أن طفا على السطح ،  
وقد قبض في منقاره على سمكة كبيرة تضطرب محاولة  
الخلاص . وينفض جناحيه المبلّلين ، ويقلع كالنّسر ، ويشرع  
في ابتلاع فريسته ، ثمّ يأخذ في التحليق عاليا هادئا قرب  
نوارس أخرى متفاوتة الأحجام يتهيأ بعضها للغوص ، ولا  
يكثرث بعضها الآخر بما في الماء السنّي.

وأنتشي - وأنا واقف بين السَّمَاء والماء - بسحر غريب  
مخدّر ... بأشعة الشّمس الربيعيّة الدافئة تنفذ إلى جسمي ،  
تغسله وتطهره وتريحه من عناء السنّين ، وتتجمع فيه باقة  
نور أو بخور ... وبنسمات الأصيل تداعب رأسي الصّاخب  
محدثّة في مؤخرته تموجات منظّمة هامسة.

وتطأ قدمائي الحافيتان الرّمال الفضية النّديّة فأبتسم  
لللقاء عنصريّن من عناصر الطّبيعة السّخية ، أثناء عرس

ربيّعيّ غريب في غفلة من عيون الزمن الجادّ : لقاء الغيوم  
في سَمَتِ السَّمَاءِ وشمس الغروب في طرفه.

ويساقط عليّ رذاذ عذب رقيق ، فأرفع وجهي ناظرا الى  
السَّمَاءِ ، فتبتلّ شفتاي الضامنتان بقطيرات ماء دافئة.  
وألتفت الى الوراء فإذا ظلّي يتبعني ممتداً وفيّاً كالقضاء أو  
القدر المحتوم.

كان القرص الأرجوانيّ متربّعاً على كتف السَّمَاءِ ،  
واسع الاستدارة ، مشعاً بنور هادئ ، تحيط به ستائر شفافة  
من السحب والغيوم ، متفاوتة الاحمرار ، رقيقة الحواشي  
كثوب العروس.

وتتّهيّ شمس الغروب لتخطف الغيوم الوردية القانيّة،  
وتهرب بها جميعاً ، بعيداً عن العيون ، خلف أعالي المدنية  
التي لم تكن تظهر منها سوى سطوح بيضاء بعضها مستقيم  
الخطوط كالمكعبات وبعضها الآخر مقوّس كالقباب.

وأواصل السّير غير عابئ بقطيرات الماء العذب معجبا  
بهذا اللّقاء المسائيّ ، مبتسماً مثل صبيّ.

كانت الشّبكة العريضة ملقاة في أعماق ساحل البحر ،  
مثقّلة بالأسرار والكنوز ، وكانت عشرات الوجوه السّمراء  
- التي طالما لفتها أشعة الشّمس بلهبها المحرق وخلفت  
عليها عميق الأخاديد - تتلهّف لرؤية ما حوته الشّبكة من  
رصيد ثقیل.

العيون مطرقة إلى الأرض النديّة ، والأقدام الحافية  
تتنقّل ببطء الى الوراء ، غائصة في الرّمْل حتّى الرّسغ ،  
والأصابع الصّلبة تجذب بإصرار حبالا صغيرة تدلّت من  
المحازم ، وكانت عقدت إلى حبل الشبكة الغليظ كالقوس  
المتوتّرة.

وتنتزع الأقدام من الرّمْل لتغوص فيه مرّة أخرى ،  
وتتحرك الأجسام المنحنية المبّلّة عرقا ورذاذا ، قرب حبل  
الشبكة المتوازيين شبرا شبرا ، وقدا قدما ، لتخلّصها من  
قبضة البحر. وما إن يصل أحد البحّارة إلى الحاجز الحجريّ  
الفاصل بين المدينة المزدحمة والشاطئ المهجور حتّى يحلّ  
عقدة نطاقه ويضيف إلى الكدس المكوّم من الحبال دائرة  
أخرى ، وسرعان ما يعود مهرولا إلى الماء ، فتغوص فيه  
رجلاه حتّى الرّكبتين ، ويعقد حبل نطاقه في الحبل الرّئيسيّ  
المتين المتحرّك ، وما ينفكّ يجذبه متراجعا به إلى الوراء.

ويتواصل الجذب قليلا قليلا ، تصحبه صرخة جماعيّة  
واحدة موقّعة ، منبعثة من جميع الصّدور ، كأنّها بمفعولها  
السّحريّ تنسى الأتعاب ، وتقرب ساعة تخليص الكنز من  
البحر.

وبينما تتخلّص الأقدام الحافية من الرّمْل المبّل  
لتغوص فيه من جديد ، يراقب البحّارة الشبّان كهلّ بدين ،  
ذو لحية كثيفة ، يضع على رأسه مظلة عريضة ، وعلى عينيه



نظّارتين داكنتين ، وفي فمه لفافة منطفئة ، منبّها من  
تراخت حركاته ، صارخا في وجهه كلّما اقترب منه ، غاسلا  
إيّاه بأقبح الشّتائم والنعوت حتى يضاعف الجهد.

وتقترب الشبكة من الشاطئ على مهل ، متهادية  
كالعروس المتألّقة ليلة زفافها ، تحيط بأعاليها حبال عائمة ،  
تشدّها الى سطح الماء قطع من الفلين في شكل جيب مغلق  
طرفه الأقصى ، كلّما قرّبت الأصابع الصّامدة ضاقت جوانبه ،  
وتدافعت بداخله الأسماك وارتمت في الفضاء مذعورة ،  
تتلاطم حيناً وتطفو أحيانا أخرى وتغوص في آخر الأمر في  
الأعماق ، محاولة الفرار من الشبكة الى الماء الرّحب ، لكنّ  
مربّعات ضيقة تصدّها وتعيدها إلى الدّاخل رغما عنها ،  
فيزداد زعرها ، وتتكاثر جلبتها ، ويعلو ارتماؤها في الفضاء.  
وتتلألهنا وهناك بقع من الزّبد اللّجين خليطا من الألوان  
الزّاهية مضاعفة من إعجاب البحّارة وأملهم في الحصول  
على صيد وافر ، تراقب الجميع نوارس محلّقة تحليقا  
منخفضا.

«إنّه الصّراع الأبديّ بين الإنسان والبحر ... قد ينتهي  
بأسماك رفيعة ، ويتوجّ بربح وفير لا يلبث أن يصرف ،  
فتبدّدّه الأيدي السخية في أيّام معدودات ؛ أو يسيل منسكبا  
من فهوات قوارير خضراء وحمراء أثناء جلسات أنس ومرح.  
ثمّ ينادي البحرُ رُؤأده من جديد فيهبّون ملبّين النّداء

تساقطي أيتها الأمطار الفضية خيوطا متلالئة ، على  
وجه أرض عانت طويلا العطش ، فتشققت مربعات وأخاديد  
عميقة !

تساقطي بعد طول انتظار واشتياق !

انثري أيتها السحب المتصارعة في السماء ، كل  
ماحوت أرحامك من قطرات دافئة عذبة دون دمدمة أو جلبة  
أو برق !

بللي أيتها المياه القزحية تجاعيد ناتئة وقسمات  
متفضنة جافة هربت عنها بسمه الحياة !

اسكبي على شفاه ضامئة جريحة رحيقا عذبا ، واحيي  
مواتها بعد فصول خرساء متعاقبة أنست طعم الخصب  
وألوانه وشذاه !

بللي وجه الأرض ، بل اروي أعماقها العاشقة المشتاقة ،  
لتنفلق البذور وتنمو النباتات ، وتفتتح الأكمام ، وتينع  
الزهور ، وتتدلى الثمار الكبيرة على أطراف الأغصان !

ولينبعث من كل شبر من فضائنا أريج كدنا ننسى  
رائحته !

ألق يا بحر بعض ما في قبضتك على الساحل الرملي  
وأعد الفرحة إلى عيون أطفال تسمرت أمامك تنتظر  
عطايك !

تهاطلي أيتها الأمطار الفضية مدرارة عنيفة ، بل  
طوفانا خصباً يروي الأرض أمام نظرات الشفق الأرجوانيه  
المتسلل نحو الأفق !

واعزفي أيتها المياه المتدفقة أهازيج الحب والعطاء  
واسكبي على الوجوه الفرحه والانشراح !  
وأظل أسير تحت وابل المطر المتساقط منتشياً بعذوبته  
المتطايرة ناظرا الى الأصيل يحتضر.

\* \* \*

دلفتُ إلى أقرب مقهى من الشاطئ لأحتمي بسقفه من  
الأمطار المتهاطلة ، دفعت أحد مصراعي الباب الزجاجي  
السميك ، وتركته ينقلب ألياً خلفي ، مسحت المكان الضيق  
المكتظ بالناس بنظراتي بحثاً عن كرسي فارغ ... وعندما لم  
أعثر على ضالتي بقيت واقفاً في ركن قرب الباب أمسح  
جبيني المبلل وأنفض شعري الندي ، ناظرا إلى حبات الماء  
الرقيقة تتساقط حولي فتزيد ثيابي بللاً والأرضية المبلطة  
رطوبة.

إنه الطوفان استيقظ من نومه العميق فتمطى وهجم  
على المدينة الهادئة ، وكادت سيوله المتدفقة تلقىها في  
البحر ، ففرّت الوجوه التائهة إلى هذه الجزيرة الآمنة  
لتحتمي بها وتقتنص لحظات أنس ونسيان.

كان الرّواد شبّانا وكهولا متلاصقي المناكب ، يحادث بعضهم النّادل ويخطف منه البعض الآخر القوارير وصحون الطّعام الصّغيرة ، وكان آخرون متجمّعين حول طاوولات مربّعة لا ينفكّون يملؤون كؤوسهم ، وكنت والواقفين المتزاحمين قرب الباب الزجاجي نتأمّل الشّارع يعبره المارّة ، جريا مشمّرين عن أثوابهم ؛ وتشقّ مياهه سيّارات مسرعة ننتظر هدوء العاصفة.

وتحوّلت عيناى إلى داخل الحانة وتجوّلت بين عشرات الكؤوس المبعثرة ، تصبّ فيها الأصابع المشقّقة سائلا أصفر، فتعلو على السّطح رغبة بيضاء متألّنة ، مثل الزّبّد الذي خلّفته على الأمواج الهادئة لكنّه هنا هادئ النموّ يكاد يطفو على حواشي الكؤوس ويسيل على جوانبها ولكنّ الأفواه العطشى تمنعه من السيّلان ترتشفه ، تشربه ، تسكبه في الحلق الشّرّهة ، ثمّ تتلمّظ الشّفاه بأنفاس راضية مسموعة تمسحها قفا الأكفّ. الجميع مشغولون بما في أيديهم لا يكثرث أحدهم بالآخر ، يفرغون في أجوافهم قوارير متتابعة ، ولا يرتوون ؛ يزدردون الأطعمة ولا يشبعون ، وينفثون دخانا كثيفا من سجاثرهم لا تكاد الواحدة منها تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى يصبح عقبها قداحة سيجارة جديدة ، ولا ينفكّون عن التّدخين والهمس والصّراخ والضّحك.

ويظلّ النّادل القصير يشقّ الزّحام ، منتقلا بين الأجسام المتلاصقة بعسر ، وطبقه فوق الرؤوس ، وهو ينادي



كان الرّواد شبّانا وكهولا متلاصقي المناكب ، يحدث بعضهم النّادل ويخطف منه البعض الآخر القوارير وصحون الطّعام الصّغيرة ، وكان آخرون متجمّعين حول طاولات مربّعة لا ينفكّون يملؤون كؤوسهم ، وكنت والواقفين المتزاحمين قرب الباب الزجاجي نتأمّل الشّارع يعبره المارّة ، جريا مشمّرين عن أثوابهم ؛ وتشقّ مياحه سيّارات مسرعة ننتظر هدوء العاصفة.

وتحوّلت عيناى إلى داخل الحانة وتجوّلت بين عشرات الكؤوس المبعثرة ، تصبّ فيها الأصابع المشقّقة سائلا أصفر، فتعلو على السّطح رغوّة بيضاء متألّئة ، مثل الزّبّد الذي خلّفته على الأمواج الهادئة لكنّه هنا هادئ النموّ يكاد يطفو على حواشي الكؤوس ويسيل على جوانبها ولكنّ الأفواه العطشى تمنعه من السيّلان ترتشفه ، تشربه ، تسكبه في الحلوق الشّرّهة ، ثمّ تتلمّظ الشّفاه بأنفاس راضية مسموعة تمسحها قفا الأكفّ. الجميع مشغولون بما في أيديهم لا يكثرث أحدهم بالآخر ، يفرغرن في أجوافهم قوارير متتابة ، ولا يرتوون ؛ يزدردون الأطعمة ولا يشبعون ، وينفثون دخانا كثيفا من سجاثرهم لا تكاد الواحدة منها تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى يصبح عقبها قداحة سيجارة جديدة ، ولا ينفكّون عن التّدخين والهمس والصّراخ والضّحك.

ويظلّ النّادل القصير يشقّ الزّحام ، منتقلا بين الأجسام المتلاصقة بعسر ، وطبقه فوق الرؤوس ، وهو ينادي

بين الفينة والأخرى زميله وراء المشرب يحثه على إعداد الطلبات حتى يلبي رغبات الرّواد المتعجّلين المتزايدة.

و حين يقترب منّي النّادل أطلب منه قهوة مضغوطة تثير على وجهه بعض الامتناع ؛ ولا أمسك بفنجان صغير ، وفي قاعه قهوة مركّزة إلّا بعد إلحاح في الطلب وانتظار طويل ووقت لا نهاية له قضيتّه أتلهّى بالنظر إلى بائعي السجائر المستوردة والفواكه المقلية يتنقلون بيسر في الزحام بين حرفاء أسخياء لا يترددون في دفع النّقود . وتتصاعد قرب أنفي رائحة القهوة مغرية بطعم لذيذ ممتزجة بروائح الخمور والأطعمة والدخان الكثيف والصّخب المبهم الذي يلفّ المكان أنسا وحياة ، وأرتشف السائل الأسود على مهل قطرات اثر أخرى فينتشر على لساني وفي حلقي طعم مرّ لذيذ ينسيني البرد والرطوبة والانتظار ويشعّ الدفء والانس من كامل جسدي .

ويفتح مصراع الباب الزّجاجي ، من حين الى آخر ، دافعا الى الدّاخل نسمة نقيّة تتلج الصّدور مصحوبة بوجه ، كان منذ حين تائها في الشّارع ، ما أن يدخل حتّى يخترق الزحام ، ويسرع الى المشرب يفتكّ من النّادل قارورة يسكبها في جوفه جرعة أو جرعتين ويمضغ الطّعام فتلمع عيناه تدريجيا ببريق مشعّ ، وتنبسط أساريه وتتلون بلون الدّم أو الغروب أو الحريق .

وألقي بنظراتي نحو الشارع - عبر الزجاج السّميك -  
فاذا بقطرات المطر مازالت تتهاطل كبيرة ، ما ان تلامس  
الأرض المبلّلة حتّى تتحوّل قبابا منتفخة هواء ، يجرفها معه  
التيّار برهة من الزّمن ثمّ تنفلق فتزيد الطّوفان امتلاء  
وهديرا!

ويواصل الطّوفان زحفه العنيد على أرصفة المدينة  
متسلّلا إلى المنازل والدّكاكين ، رغم الأبواب الموصدة بإحكام.

\* \* \*

أيتّها السّاعة الجداريّة التي انعكس خيالها في المرايا  
المتناظرة لماذا تسير عقاربك ببطء مقيت ؟ ومتى يحين  
موعد وصول الطّائرة ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كنّا فيما مضى من الزّمن ثلّة من الشّبّان المرحين ، لا  
تعرف متاعب الحياة لرؤوسنا سبيلا ، نحلق في مستقبل  
الأيام بأجنحة حاملة مثل سرب من النّوارس في فضاء رحب؛  
ثم شتّتت جمعنا غيوم الحياة والفصول ، فتهنا في شعاب  
مختلفة : أصبح أحدها لاهمّ له سوى جمع الأوراق النّقديّة  
وعدها وتكديسها ، وأخذ آخر يتسلّق سلّم السّلطة وما زال ،  
وما فتى ثالث يذرّع الأنهج والشّوارع ويجوبها خلف مقود  
سيّارة أجرة ، واقتفى رفيق آخر أعقاب السيّاح الغرباء  
ليدلّهم على أفضل اثار المدينة ملتصقا منهم بعض النّقود.



أما أنا فلم أكفّ عن الجري والعدو متنقلاً بين واجهات  
المكتبات ورفوفها باحثاً عن مجلد نادر نفيس ، ولا وجود له  
الآ في خيالي ، أقنع ، عندما لا أعثر عليه بكتاب ، أشتريه  
فاقرأ منه بعض الفصول ثم ألقي به في زاوية من زوايا  
غرفتي الصغيرة ريثماً أعثر على رغبتى المستحيلة.

وترتفع الكتب والمجلات أكداً سا تكاد تلامس السقف ؛  
وأظلم مع ذلك أجري وألهث ، بحثاً عن أمنيّتي ، حالما بشراء  
خزانة متعدّدة الرفوف لأجمع فيها شتات كتبى وأفكارى  
المبعثرة.

ليتني كنت خالي البال من هموم الحياة ، مثل صياد  
يفرح كلّما خلّصت أصابعه الأسماك من الشبكة ويفرق  
أحزانه في كأس كلّما شاء. ما أن يضع رأسه على الوسادة  
حتى ينام ملء جفونه.

ليتني كنت نورساً يحلق في فضاء البحر ، بكلّ حرية  
كلّما أحسّ بالجوع ارتمي في الماء فأشبع. بل يا ليتني كنت  
... ولكنني في الحقيقة مشغول البال دائماً ، لا أكفّ عن  
التفكير في نفسي وفي الآخرين وفي هموم العالم. أرى كلّ  
يوم أمامي رؤوساً صغيرة تنمو ببطء شديد ، فأودّ أن أقطع  
من رأسي قطعاً صغيرة لأطعمها بها فتكبر بسرعة.

ولكن يسقط في يديّ ، فأكتئب حين أرى الرؤوس  
الشابة يكتنفها الظلام الحالك من كلّ الجوانب ، أحاول طرده



بشتى الطرق فلا أقدر. أشعل كل ما لدي من شموع فيسطع الضوء برهة من الزمن لكن سرعان ما يعود الظلام على أعقابه. وتنقبض نفسي حين أرى ، بعد شهور ، تلك الوجوه الصغيرة مقيمة بالمقاهي تلوك الفراغ وتمضغ السراب.

وأواصل السهر حتى الفجر صانعا أفضل الشموع لطرد الظلام. وعندما يطلع النهار ... أصرخ وألين ، أهدد وأربت على الرؤوس الضامئة ، حاثا إياها على التزود بأقصى قدر من النور ، حتى تتفتح الأكمام وتنضج أفضل الثمار ، فتغير مجرى حياتها وحياة الآخرين.

وكلما رأيت أكماما بدأت تتفتح شعرت بالتعب وابتسمت ابتسامة المنتصر على الظلام.

<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

يا نورسا مهاجرا متى تعود ؟ كانت أحلامنا مضمخة بالإرادة والخصب كسحب هذا المساء الممطر . كان كل منا يحلم بزوجة شقراء فارعة الطول ومنزل فخم وسيارة عريضة تسد الطريق ، والسفر الى بلدان بعيدة زاخرة بالأمسيات الرائقة والنسوة الأنيقات والحدائق الغناء

وكنّا نخرج إلى الشارع نتنزه مقتفيين خصر فتاة هيفاء ، وأصابنا تعب ببعض المفاتيح الوهمية. ونظل نجري ونلهث وعيوننا تترصد من سنبثها لوعتنا وأشواقنا ونيراننا ورجولتنا المبكرة.

ثم نؤوب كل مساء خائبين مبتسمين رغم ذلك للحياة.

لم يكن مظهرنا يجلب الانتباه ، ولم نكن نملك من متاع الدنيا سوى جسمين هزيلين تسترهما ثياب رخيصة. كنّا نلقي بشباك هيدنا المرة تلو الأخرى دون كلل أو ملل ، فتخرج فارغة لا شيء فيها. ولكنّ الأقدار كانت تلقي - أحيانا - بين أقدامنا فتاة سمراء متشرّدة ، لم تتريث الطبيعة في رسم ملامحها ، فنقبل عليها مندفعين نرتمي في أحضانها مغمضي العيون ، نخبئ رأسينا في صدرها النحيل ... نمزج أنفاسنا بأنفاسها ... نطفئ نيرانا متأججة ... ثم نسوى هندامينا ونجفف عرقنا وينظر أحدنا الى الآخر فنفهم دون أن نتفوه بأية كلمة أننا كنّا نسبح في بركة مياهها أسنة ، كريهة الرائحة ، فيصيبنا القرف والغثيان ، ولكننا - مع ذلك - نصرّ على الضحك للحياة ، ونعيد الكرة تلو الأخرى لنثبت لأنفسنا أننا بلغنا سنّ الرّجولة بعد.

لكم غيرتنا فصول السنين المتعاقبة : كل فصل يحلّ يذهب ببعض آمالنا وأحلامنا !

تعلّقت بجارتك الصّغيرة ذات البشرة الوردية ، وطلبت يدها فرفضوك لضيق ذات يدك. وما أن علمت أننا سقطنا في هوة الامتحان حتّى طرت الى بلاد الثلوج دون أن تلتفت الى ظلك وأهلك. هربت من ألامك مثل نورس جريح غادر وكره ريثما تلتئم جراحه ويعود.

وكدت أقتفي خطاك ، ولكن لم تكن لي جرأتك وبقيت  
هنا أتحمل القرّ والحرّ جالسا على مقاعد الدراسة حتّى كادت  
تُفنيّني. وعندما تخرّجت من الكلية وقد ابيضّت منّي بعض  
الخصلات أدركت أنّ مهنتي التي طالما كنت أحلم بها لا توفّر  
لي في حقيقة الأمر إلاّ ما أسدّ به الرّمق ولا تسمح حتّى  
بشراء بدلة جديدة.

وهكذا تبخّرت الأمنيات العريضة ولم يبق لي منها  
سوى النزر القليل. وابتسمت من سذاجة شبابي الماضية.  
ومع ذلك لم أياس وضحكت للحياة.

أخبرتني في آخر رسالة بعثتها لي أنّك مللت الغربة  
وأنّ جسمك لم يعد يتحمّل الصّقيع وأنّ دفنهم لم يظهر بعد،  
وذكرت لي شوقك لطعم ثمارنا الصّيفيّة ورائحة الياسمين.

أجل لقد ظهرت بعض الثمار الصّغيرة في الأسواق  
وهي تنتظر عودتك وخبرتك وشهادتك العالية وتدقّق المياه  
العذبة من أعماق الصّحراء وسقيها بها حتّى تكبر أكثر  
فأكثر.

إنّني أعلم أنّه يصعب الهروب من فتيات شقروات بمثل  
هذه السّهولة ، وتطليق مدن صاخبة بسهرات وأمسيات  
رائقة ، لكن ثِقْ أن حياة جديدة هنا تنتظرك قد تنسيك بعض  
ما خلّفته من جنان الغرب. وإنّ فتاة جميلة تنتظرك.

نسيتُ أن أخبرك في رسائلي أنني أرى من حين إلى آخر حبيبة ماضيك تتجولُ حذو شاطئ المدينة يتقدمها زوج بدين ويقتفي إثرها أطفال مشاغبون. وقد تغضنت ملامحها وترهل جسمها كثيرا عما كنت قد عهدت . لكن أختها الصغرى أكثر رشاقة منها وجمالا وذكاء ، تتأبط دائما كتبها وكراسات ، ويشع من عينيها بريق غريب ، وفي شعرها بعض خصلات شقراء ناعمة تتدلّى على كتفيها تذروها النسيمات عندما تسير مسرعة.

تعال وألقِ بهمومك على صدرها البريء فلعلها تقدر أن تفهم لغتك وتشفي منك كلوم الماضي وتلهيك عن جميع من عرفت من نساء العالم.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيها النورس المهاجر !

أرضنا البكر ضمأى متلهفة للمسات أصابعك فاحفر التربة السّمراء وفجرها عيونا متدفقة ، واغرس في أرحامها بذورا ، سرعان ما تنفلق ، وتطفو على الأرض شجيرات يانعة و ويسيل النسغ في الجذوع والأغصان والأوراق ، وترتفع الأشجار قوية جبارة في السماء ، مثقلة غصونها بثمار ناضجة ، يتضوّع منها أريج يعطر نسيم المساء.

طيور البحر - وإن طالت هجرتها - سيدفعها دوما البرد والصقيع والحنين لتذكر أوكارها الدافئة ، فهل ستعود



وتحلّق في سماء أرضنا عالية بجناحين قويين كانت قد  
غذّتهما تجارب الأمم أو تتيه ولا تعتدي ؟

وهدأت الأمطار قليلا ، فدفعت الباب الزّجاجي أمامي  
وخرجت إلى الشارع أسير بخطى حثيثة وأزيز طائرة يشقّ  
فضاء المدينة.

بوروي عجيبة



- عاشق العظمة -

لقيته بعد سنوات عديدة يجوب هضبة قرطاج بالطول والعرض ينتقل بين أطلالها ، ويتوقف طويلا بمسرحها ومعبد أشمون ، ويتلمس بيديه برفق حيطانها ، وكأنه يخاف عليها من السقوط ويغير خطوات غير ثابتة وكأنه يمشي على الجمر.

عرفته محبا لقرطاجة وعظمتها وأبطالها وبطلاتها ، يهيم بها ولها ، نهم لمطالعة تاريخها ، فإذا حدثت كانت هي الأصل والقاعدة ، والباقي الفروع والاستثناءات ، وقد يخترق الزمن ويتحداه ، وتأخذه الحمية فيلعن رومة ويصرخ بشن حرب بونيقية رابعة عليها يكون هو أول جندي فيها ، ينساب في سرد أحداث قرطاج المصيرية في صراعها مع رومة ، وشرح وتحليل أسباب الانتصارات والهزائم. وهو سيد التهويل لصالح قرطاجة لا غير ، وإذا حاول أحد منا تصحيح بعض الأخطاء التاريخية لهذا الصديق ، هاج وانتفض وأعلن على الملأ بأننا لسنا من نسل أبطال قرطاجة، بل من نسل المرتزقة ويصرخ بأن خطأ قرطاجة الأكبر هو عدم تخلصها من كامل المرتزقة على أرض إفريقية لأنه يرى فيهم السوس الذي نخر عظمتها.

كنت أعلم أن عاشق قرطاجة من الصنف غير العادي  
في كل شيء ، في جديته التي لا تفارقه وتعمره على اقتناء  
تعابير ومفاهيم تفوق مستوانا العلمي ، وأبدا لن تضبطه  
مازحا أو لاهيا بل لن تراه إلا متصفحا كتابا عن قرطاجة ، أو  
إدارة نقاش يكون هو محوره أو قاصا أحداث صراع قرطاجة  
بداية من تأسيسها إلى حين سقوطها.

ولعلي استغربت وأسفت في آن واحد أن ينقلب هذا  
الحب الكبير لقرطاجة الى شبه هوس بها ، يجوب آثارها  
ويتحسس حيطانها ، ويجلس على أحجارها مفكرا ساهما ،  
ولعلي حسبت أن السنين ستكون له خير منقذ ، فتنفذ عنه  
حلما جميلا لو طال لكان له تلفا.

وأنا أقترّب منه كان قد تعرف على ، واستنتج ما يدور  
بفكري اتجاهه ، وبعد تبادل التحية صمت برهة ثم أخذني  
من يدي ، وسار بي بعض خطوات وقال لي والتعب باد عليه:

- لا تلمني فحيثما توجهت فثمت الخنوع والخذلان  
والتبعية ، حيثما وليت أصابك القرف من هذه الأقرام التي  
استكانت وسكنت الجحور. لذلك أدت عجلة التاريخ الى  
الوراء حيث العظمة والسطوة والصراع الذي لا هوادة فيه ،  
عصر نهضة قرطاجة وعظمتها ، لعلي أجد السلوى في تلك  
الحقبة ، فتهدأ نفسي ، وأبدا لم أتطلع الى قرار الهوة.

وهو يحوم بي في كامل أطلال قرطاجة حيث مرفؤها  
ومسرحها ومعابدها وقصورها أحسست بأن عاشق قرطاجة  
قد اجتث كلياً من زمننا هذا وصار منه نكرة ، فلتة من  
فترات زمن مضى. وهو يعتلي بي مكاناً علياً بأطلال  
قرطاجة. قال في شبه مناجاة لها :

- لقد كنت عظيمة في كل شيء ، في صراعتك  
وانتصاراتك ، وحتى في هزائمك وسقوطك ، كنت رمزا لو  
تمسكت به كل الشعوب لما هزمت أبداً ، ولكنك كنت أسطورة  
بنهايتها في غرابة بدايتها.

حاولت مجاراته في انسيابه وراء شطحاته وفي الآن  
نفسه أحاول تبیان جوانب يرفض عقله التركيز عليها :  
- إنك عاشق العظمة في قرطاجة والعظمة ترتبط  
بأشياء عديدة مثل العدل الذي يغيب في عديد الأحيان من  
سمائها وخاصة المرتزقة حيث تلكأت وماطلت ثم سحقتهم  
دون أن تمنحهم أجورهم ..

فأجاب وهو مرتبك :

- لاكتساب العظمة لا بد من توضحيات جسام حتى  
بالمبادئ والقيم ومصائر العباد ، فالكل فان وتبقى العظمة  
الصرح الشامخ عبر الأزمان ولن تمحى من ذاكرة التاريخ  
حتى ولو ابتلعت البحار هذه الأرض.

وهو يواصل سيره أردف من جديد :



- ما الذي فعله سادة هذا الزمان ؟.. لا شيء غير الخنوع ... قرطاجة كانت تشنق قاداتها عند كل هزيمة ، لذلك كرس النشأ على المغامرة والبطولة ومصارعة الأهوال حتى الهلاك.

وقلت محاولا تحطيم ما عيش في رأسه من وهم :  
- ذلك قدر فرض على قرطاجة ولم يفرض على غيرها فكانت أسطورة الأزمان.

- لا تحاول المراوغة ، لم تكن قرطاجة وحدها رمزا للعظمة ، وإنما كان غيرها كثيرا ، وأجدني العاشق لقرطاجة لأنها اكتسبت عظمتها دون مقومات فكانت الاعجاز بحق.

وصمت وقتا ليس بالقصير. ثم بادرني من جديد قائلا وهو يحتضن أحد سوارى مسرح قرطاجة :  
- أين أولئك من هولاء ؟ لقد كرهت هذه الهامات المنكسة على الدوام ، لو صفعت أحدا على خده الأيمن لأدار لك خده الأيسر.

وصرخ وهو يعانق السارية :

- لم يكن أولئك كهولاء ، كانوا يضحون بثرواتهم وأنفسهم للعزة ، ويذبحون أبناءهم قرابين للآلهة طلبا للنصر ، ولا شيء غير النصر ، كانت الهزيمة لديهم جريمة لا يغفرها إلا نصر لاحق أو الموت.

ويتهاوى في مكانه لاعنا انتماءه للمهزومين بينما  
يطنّب في مدح قرطاجة معددا أبطالها وبطلاتها سابلًا عليهم  
أوشحة الخلود.

كان محمومًا بقرطاجة وعظمتها على الدوام ، فاذا  
حدثك عن والدته ذكر عليسة وشقيقته صلامبو ، ووالده  
أملكار برقة وشقيقه حنبل وعشيقته سوفنسيبيت  
الجميلة.

ويسير على الشاطئ حيث الأمواج لا تزال تلطم حطام  
قرطاجة ، وبعد أن يتفحص بعض الأحجار ويتحقق من أنها  
أحد أجزائها إذا يهتمهم في تحسر قائلاً :  
- ألا كففت يا بحر هدم أطلالها وقد هدها الإنسان  
والزمان ..

وهو يسرع الخطى كأن يردد مشيرًا إلى هنا وهناك  
على الساحل :  
- لا شك أن هناك رمت عليسة نفسها في لهب النيران،  
نيران التضحية من أجل العظمة ونفيا للآنية ..

أما في الهضاب والسفوح فكان يتنقل بينها وهو  
يغمغم مرة بكلام غير مفهوم وتارة تنطلق الكلمات من عقالها  
حالة تارة وصارخة حينًا آخر :

- بمعبد الربّة تانيت نشأت عذراء قرطاجة صلامبو  
واكتملت حتى في موتها مسمومة ... وهنا اقتحم الثائر  
اللببي « ماتو » معبد الربّة وسرق وشاحها ..

والتأثر باد على محياه وهو يعتلي أعلى مكان من  
الهضبة يدير بصره الى كل الجهات ماداً يمناه مشيراً الى  
السفوح مكاناً بعد مكان قائلاً وكأنه شارك فعلاً في حرب  
سقوط قرطاجة :

- كانوا بواسل ، ثلاث سنوات بأكملها وقرطاجة  
صامدة، شارك كل من قدر على حمل ما يمكن أن يكون سلاحاً،  
والاسوار تهدم بالنهار وتبني بالليل وقطعت النساء  
شعورها لربط المنجنيق حتى دفعوا بالجنود الرومان الى  
الانتحار برمي أنفسهم في لهب النيران..

ويتهاون في مكانه مهزوما منكس الهامة. ولكنه  
سرعان ما ينهض متعمداً الشموخ مغمغماً قائلاً :  
- أبدا أنت شامخة صامدة على الدوام في سفر الزمان.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

افتقدته أياماً بمقهى بيرسة حيث كنا نلتقي واحترت  
لأمره فما عهدت فيه انطفأ لأشواقه بمفارقة هضبة قرطاجة ،  
يسعى على أديمها وينبض بعظمتها ولا يلهج إلا بعزمها  
وانتصاراتها وبطولاتها ، ولم يطل انتظار مجيئه سوى أيام  
أخرى حتى رأيتَه يدخل المقهى مبتهجاً في غير عاداته ، وقد  
ذهبت عنه كآبته ويأخذ مكانه قباليتي قائلاً :

- لقد تحقق حلمي ، كان مجرد حلم وهوس ، وكنت  
أتشبهت بالعيش على طيف وأطلال العظمة على أن أصلي  
بحضارة زائفة.

لازمت الصمت ، فقد تعودت منه هذه الشطحات  
الغارقة في الماضي السحيق حتى اني لا أتذكر أنه أعجب أو  
ذكر صروحا أو لفت انتباهه شخصية معاصرة. وكلما حاولت  
لفت انتباهه الى أي منها ركن إلى الصمت ملوحا ببصره  
بعيدا ، ولما لامس مني برودي العادي أخذ بيدي قائلا من  
جديد :

- لقد بعثت قرطاجة من جديد ، سميت صروحها  
واعتلتها هالات نورانية ، والليلة نحتفل بهذا البعث ، لا  
تنظر إلى هكذا ، أنا أعلم أنك مشفق علي من هذا الحب الذي  
ملك علي كل جوارحي ونوابضي ، أنا سعيد بعشق هالات  
حضارة زائفة على قيادة شعوب قدرها الخنوع.  
وبعد صمت ليس بالطويل ، وقد حاول نزع قناع المأساة  
أردف : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- الليلة سنحضر خرافة قرطاجة تلك التي عشقها حتى  
أعداؤها.

سار منتشيا وهو لا يفتأ يعدد مآثر مدينة عيسى .  
وانعرج فجأة نحو حمامات أنطونيوس. كانت الساعة قد  
بلغت التاسعة ليلا والأنوار متلالئة في غير عاداتها في ذلك  
المكان. لكن ما إن أشرفنا على المدخل حتى هالني ما رأيت.  
كانت الأنوار التعبيرية قد كست الحيطان والسواري فتجلت  
وكأنها من الخوارق. وغدا المكان وكأنما انشقت عنه الأرض أو  
نزل من السماء تجسيدا للأسطورة.



انجذبت لهذا المشهد حت نسيت رفيقي الذي تاه عني  
مسحورا بالأنوار والضلال ولم نلتق الا صدفة وما أن  
شاهدني حتى اسرع نحوي قائلا ، وعيناه تلمعان ببريق  
غريب ولعله كان وليد حالته النفسية المضطربة والمنتشية  
بسحر المكان :

- حتى أطلال قرطاجة عظيمة ، ما ان أزلنا عنها غبار  
الآزمان والنسيان حتى طفت كربة الجمال من زبد البحر.

امتلا المكان بالرواد من عشاق السهر والفن. ورغم أن  
جلهم زاروه أكثر من مرة ، فقد شدوا لسحر أنواره المعبرة  
وكأنهم يكتشفونه لأول مرة. وفي ساحة حيث تزامم بها  
بعض الرواد قفز رفيقي على جدار نصفي وصرخ في  
الحاضرين قائلا :

- أمانيكم سامية وأرادتكم هشة ، أحلامكم انتصارات  
ويقظتكم الهزيمة ، الرضى بالدون والأنانية كبل فيكم كل  
إرادة ، مع أن فيكم كل مقومات العظمة ، قرطاجة تلك الغادة  
لم تكن تمتلك مقومات قبيلة قهرت رومة ، ولو لا شع أرحام  
نسائها بالرجال لملك العالم ، وها إني أراكم كالجراد تأكلون  
بعضكم بينما في مقدوركم أن تجعلوا كامل هذا الكوكب  
ينطق لغتكم.

وصرخ في حدة وثورة ما عهدتهما فيه من قبل وقد  
تقلصت أطرافه :

- قلوب تخفق عجزا وعقول واهنة وقوى خائرة  
وهامات واهية.

وصرخ منتفضا موليا وجهه ناحية شاطئ البحر :  
- لم يعجبكم من هذا المكان إلا أنواره التي ما ان  
تنطفئ حتى تولوا وجوهكم عنها ، تسحركم الهالات ويخلب  
عقولكم الزيف .. تمجدون الأسلاف وتقزمون أجيالكم !!

وقفز من فوق الحائط النصفي وأسرع نحو شاطئ  
البحر وهو يصرخ :

- أنا أت إليك يا قرطاجة ، ففبك الحياة أما هؤلاء فهم  
ميتون وان ادعوا الحياة.

وأمسك به وعوض أن يودع مستشفى الأمراض العقلية  
حقق معه في تهمة إثارة الجماهير على العصيان المدني ،  
لكنه ما كان يصفي إلا إلى صوته ولا يرى غير السطوة  
والعظمة أما ما عدا ذلك فسراب.

الناصر التومي

## الولادة

أقتطع وجهي في منتصف الطريق المؤدية الى عرش  
«الهالك» ... الفستان حذو الصولجان شبح ظلاله مشدود  
الى وجهي ؛ لا الصورة المخفية في جبيني تذكرني بوميض  
عينها البحريتين ولا الفجر يولد قبل انطفاء مخيلتي ..

أنا هنا أسير وخطاي أوهام مسحور يعشق الرمل ،  
يضاجع الماء عند الفسق الذبيح ... أعتصر ليلي فلا تلد  
الذكرى وجعا في حجم الصباح القادم.

مرة فتحت عيني فترأت لي السهول الممتدة شواطئ  
مهجورة تبهر في الزمن الراحل بعيدا عن أوهامي وشبح  
الفستان و«الهالك» الظالم..

- يا فرحي البهلوان طرده السلطان خارج قصره لا  
تدعني وحيدا في مدينتهم ! فقد تلد السهول مدنا خافتة  
الاضواء تعانق بناياتها رياح الخريف وأعراس الماء وتقاسيم  
وجهها الخرافي الضارب في ذكرياتي ..

تمهلت. ثم صرخت أين «الهالك» أيتها الجارية ؟!  
الشبح لا ينطق ، والغانية هناك في أحضان سيدها ، وعلى

شفاه الخدم ابتسامة زعر ، والخناجر ترسم ظلالها في الجدار  
المقابل والسقف .. أشباح صور تنتهي في الاعلى بذؤابات .  
ويرقص الموت في صدر « الهالك » .. يزغرد الرصاص ،  
والقفص يدعوني اليه :

- لا ترحل « فالهالك » بالمرصاد ..!

أنتفض مذعورا . أجهزة المراقبة كالليل يكتسح أمواج  
البحر. اقتحموا جزيرة .. حملوا عشقي الى مخابرههم في  
مكان لا يعلمه أحد .. سكبوا البحر في قواريرهم وأشعلوا  
دمي .. قالوا : هو الفرع المجنون يلد رعدا جنينا والقتل  
شريعتنا .. تنشقوا رائحة أفكاري تحرق وأنا المشاهد  
يستهويني أزيز السوط يلهب أحاديث جدتي المورثة ... مرة  
ثانية فتحت عيني لأبصر النار تغمرني ولسانها الرقيق  
كشبح الفستان يغريني ثم تذوبني الانفاس وأستقي من  
الخط المنحنى يشد الوجه الى القفا ، وأترشف لذتي  
الحمقاء.. أفيض ثم يغمرني ألم حاد .. أنتظر جسدها يتفتح  
ويحملني الخط المائي بعيدا عن اليابسة .. أنتظر موتي قبل  
أن يهجم الطوفان ويبتلع ذكرياتي القديمة .. تملكطني غيبوبة  
جهنم .. ذبلت أصابعي .. تعريت من اللحم والفرح البدائي  
ومخاوفي .. طربت لعودة الظلال الى أوكارها ، وهمست :

- لا العشق يفني ولا الرعد الجنين يدمر ، ولكن وجهي  
الطريق كفانية « الهالك » يغوص في أحلام الصغار ، وله مع  
الملك سهرات خمرية لا تنقضي بالهلاك ..



يجرد الحارس سيفه في مطلع كل ليلة وينتظر خاتمة  
حكايتي ثم يبحر « الهالك » في ذاكرتي .. يتقمص أفكاري،  
أحزاني ، أحلامي القديمة ويضحك ثم يتشاءب ويقف فجرا  
حذو الشرفة لينظر الى قوافل الظلام تكتسح البستان  
والسماء ويقاوم جنود حكايتي . ويعلو الغبار وجه ذاكرته ، .  
تتعمس رؤية الجارية ثم تنحدر عربة التاريخ الى أسفل  
الربوة وتضيع في حكاية الليل لتظهر في الاتجاه الآخر ، .  
ويلجأ « الهالك » الى فراشه منهاكا وجزيرة حلمي صامدة  
ووجهي الطريق يشق النار ولا يتعب .. أقول دون حذر  
والعيون في كل مكان :

- تدهشني أحزانك الميتة يا « الهالك » ! ولا أنزعج  
لضربات سياطك بل أتعري لنارك وأحترق بلهيبها دون أن  
أشعق .. فأراك سيفاً وفستانها النطع ، وأشم رائحة دمي  
يتطهر والبخور يصاعد في ردهة القصر .. لا أصرخ ..  
يغبطني لون يسبح على خنجرك الذهبي وأكاد أنتفي عند  
شخير اللذة الجنونية .. أدخل الكهف فيرتعش الخط  
المنحني، أغص بوجع اللحم يقطع وتكبر أنباضي في زحمة  
الايام وهي تفتصب .. أضاجع مخيلتي لاحبل ليلتي غلاما  
يمتشق سيفك ويمتطي صهوة الرعد ثم يشق له في الارض  
طريقا .. وعندما تطلق صيحتها يشق رأسها ويُسهر للقمر  
أفكارها ويلطخ السحاب بألوان عروقها والدم المضطجع  
وينتزع ايماني وموتي الموروث وطمأنينة الانتظار ..

فتحت عيني للمرة الثالثة - وليست الاخيرة - انتهى  
ما كان بين حلمي وصحاري الموت .. تراقصت ظلال الخناجر  
عيدان قصب .. لم يلمسني حريقها .. سمعت وأنا في القبو  
حشرجة « الهالك » كأنه في النزاع الاخير ، . ولمحت في  
غيبوبيتي الحاملة ذلك الفستان الوردي يهجر الصولجان  
وتستعيد الغانية وميض عينيها البحريتين.

مصطفى الكيلاني



## حمودة الشريف كريم

### القطر الأسود

كان أبي عصبي المزاج ، حاد الطبع ، يعيش في دوامة داخلية ، تجلس إليه فتشعر بالثورة تتقد داخله ، وعلامات الغضب والنقمة يعلوان وجهه ، إنه يعتقد أنه مظلوم ، مسلوب الحق ، وأبناء عمه هم سبب بلائه ، فقد أفقره ، وهضموا حقه ، فعاش محروما ، بانسا ، معوزا . يحلم بالمال والجاه دون أن ينالهما ، حتى الأرض التي له حق شرعي فيها ، قد سلبوها منه وأعطوه جزءا ضئيلا . كله صخر ، صلب ، أجرد ، قاحل ، وعللوا تصرفهم هذا نحوه بأنهم لا يريدون له التشرد ، فهو بجانبهم ، يعينونه وقت الشدة والبأساء ، وهذا يعتبرونه تفضلا منهم ، بينما يراه أبي ظلما ولذلك اشتكى الى المحاكم طالبا حقه الشرعي ولكنه لم يحصل عليه لان الجد الأعلى سيدي احمد الشريف لم يسجل والده في عقد الأرض فقد نسيه او تناساه او اجبروه على ان يتجاهله ويتغافله.

فجده سيدي احمد تزوج هنية فانجبت له سيدي محمد وقد دللها فعاشت في عز وترف ولكنه عندما شاخ وكبر واصبح يبول على عقبه ، تخلت عنه وجفته وتنكرت لحياته

الخاصة ، فبقى المسكين يعاني الوحدة والغربة النفسية . وكانت عنودا ، سليطة اللسان ، تعتدي على قاصديه للبركة وتؤذيهم ، ورغم هدوئه واتزانه وصبره فقد ضاق بها ، ولاقى العنت منها فقرر ان يتزوج خديجة على صفر سنها وشيخوخته فكانت الزوجة المثالية لطيفة المعشر ، راجحة العقل ، عفة اللسان ، ودودا ، تكرم الضيف وترحب بالقادمين عليها ، تبركا بزوجها وخلف منها جدي القصير .

وكان ابناء سيدي محمد يشعرون بالنخوة والفخر والاعتزاز والعلو على ابناء القصير ، لانهم يرون انهم الابناء الحقيقيون لسيدي احمد فامهم ابنة عمه دنيا ، بينما أم القصير مشكوك في نسبها ، وعفتها ، فعندما تزوجها سيدي احمد كانت في العشرين من عمرها بينما تجاوز هو الثمانين ولذلك استأثر ابناء سيدي محمد بالأرض وبالأزوية فهم حراسها ، وسدنتها وقد اخذوا البركة من جدهم سيدي احمد فهم الملجأ للقاصدين ، يشفونهم من عاهاتهم . ويكتبون الحروز لعاقر ترغب في الانجاب ، والعانس تود الزواج ، لرجل يطمح الى السيادة .

وعاش ابناء سيدي محمد في نعيم ، لم يمسسهم الضر بنابه ولا يعرفون الفقر ، ولا الحاجة ، اما ابناء القصير فقد كانوا يعيشون في بأساء من امرهم لا حق لهم في الأرض ، او تعاطي النشاط فيها ، ولا مجال لهم للاقتراب من الزاوية فهم اغراب عنها ، لا ينتفعون منها بشيء وقد كان ابي يشعر



بالغبن لان مجدا حرمه ، وحظوة ابتزت منه قهرا ولذلك فهو دائما يقول :

« نحن ابناء القصير اولى الناس بالاشراف على الزاوية لان جدتنا هي التي ساعدت جدنا الاكبر ايام المحنة وعاضدته ولولاها لما كانت هذه الارض ، هذا العز وهذا المجد ».

وكنْتُ اخالس ابي النظر فاراه يضع راسه بين يديه ويتنهد ويزفر او ينكت الارض بعود ، ثم يرفع رأسه فاذا الدموع تسيل وهو يردد :

« استغفر الله العظيم ، انك عظيم الشأن ، أو ليس العدل ان نقتسم ايام الاشراف على الزاوية ؟ أيستأثرون بها وحدهم ؟ سبحانك اللهم ... »

اما أمي فقد كانت قانعة ، هانئة ، راضية بما قسم الله لها ، ما تفتأ تصبر أبي وتشجعه ولكن أبي ما كان ليرضي بكلام أمي ، فانه سرعان ما يثور ويأمرها بالسكوت ويقول :

« كيف اصبر وانا اعيش في مثل هذه الحال ... ؟ اسكن بيتا تداعت حجارته ، وكثرت فجواته ، تقاسمني العفاريث والافاعي سكناه ، واحرم من هذه الارض الخصبة التي حرصت جدة ابي على ان لا يفرط فيها سيدي احمد ، ولكنها الايام ، قاتلها الله ، ان الشيطان ما يفتأ يدخل مناخيره ليغير ما فرضه الله ويبدل العقول ».

كان ابناء سيدي محمد اشداء معنا فقد شددوا علينا ،  
وحرموننا من تربية الحيوانات بدعوى انها تفسد مزارعهم ،  
ولا حق لنا في الرعي في اراضيهم ، ولذلك كان ابي لا يملك  
إلا قطة بيضاء ، ذات شعر ناعم وعينين زرقاوين وهي  
محبوبتنا ، نتبارى في ارضائها تنام معنا في فراش واحد ،  
فما ان نتمدد فوق الحصير حتى ترتمي قافزة بيننا ، وتندس  
متشممة اجسادنا وكأنه عربون الحنان الذي نكنه لها ، وتبدأ  
في ترديد صوت منغوم يبعث في النفس الراحة والطمأنينة  
وكانها تهدهدنا وتقص علينا اسطورة لا نفهم مغزاها ،  
فننصت الى ذلك الصوت الدافئ ونحن في اشد الشوق ،  
نستسلم للنوم ونغرق في احلام لذيذة ... وقد ازداد تعلقنا  
بها عندما كنا نائمين فاحسبنا بها وهي تقفز وتموء مواء  
خاصا حتى اذا أضأنا البيت وجدنا شعبانا يحاول مداهمتنا  
وهي تصده في شجاعة وبطولة ...

ومرضت قطتنا واشرفت على الهلاك ، وساءنا حالها ،  
ورغم تمريرنا اياها فانها كانت تزداد هزالا وتموء مواء ذا  
معنى ، لم نفهمه وكانت ترفع راسها وكأنها تشم الهواء ،  
وذات مغرب تحاملت على نفسها وخرجت امام البيت ،  
وانتبهنا كلنا لها وكانما جذبنا اليها واقعت ورفعت راسها  
وبقيت تنتظر نحو المشرق ونحن في لهفة نتابعها النظر  
ورائنا قطا اسود يقبل عليها ويتشممها وتتشممه ويلعق  
شعرها ثم قفزت نحو البيت جذلى وكأنها لم تمرض قط وهو

يتبعها في تؤدة ، رافعا راسه مسبلا ذيله ، ودخلا البيت فقلت في نفسي : انه الدنف واقشعر بدني واحسست باحساس غريب نحوه انه كرية المنظر ، سمج ، خبيث ، لم اره في قريننا قبل وتقدم مني يريد الاكل فانتهرته ، فتاخر قليلا ، وطفق يحدجني بنظراته ، فقالت لي أمي :

« حرام عليك يا بني ، اتطرد ضيفا اتى لاجئا ، انظر الى قطيننا فقد رحبت به ، انه مسكين ، قد اختار بيتنا على تواضعها ، اعطه قليلا من فضل الله . »

استغربت كلام امي ، فليس من حقها ان توبخني من اجل قط اسود ، اقرع ، مجهول النسب . ومنذ ذلك اليوم وانا في صراع معه فقد كنت امقته ، اكرهه ، ابغضه ، وكانت امي تحبه ، وتعطف عليه ، وتحله وتحبوه بالفضل ، وله مكانة خاصة لديها ، وقد شعر هو بذلك فصار يتبعها في كل مكان ، وكانت توصينا دائما بان لا نضربه ولا نتحكك عليه لانه ربما يكون جنيا فيصيبنا بسوء مثل ما اصاب مبروكة ابنة خالتي فقد ضربت قطا اسود ، افتك منها قطعة لحم فانتقم منها الجان بان سكن جسمها ، فتملكها منذ ذلك اليوم الصرع واضحت في غيبوبة طويلة حتى وجدت ذات يوم ميتة في فراشها وبجانبا القط الاسود ، او عمتي « حدة » التي لقيت سوء المصير لانها دعست قطا اسود فشلت رجلها...

كانت امي المسكينة ما تفتأ تذكر سير القطط السوداء،



وتأثيرها في حياة الناس وتضفي على قصصها مسحة من التهويل ، فتثير في نفسي حساسية الرهبة والخوف خصوصا اذا جن الليل ، وتزداد دقات قلبي وتتسارع وتتوتر اعصابي ، فينتابني الفزع لاقل نبأة.

وكان أبي ايضا ضعيف الشخصية في مثل هذه المواقف فهو يفكر نفس تفكير امي ، يهرب القطط السوداء ، ويجلها ، ولها موضع خاص في نفسه وفي حياته ، وهو دائما يحدثنا عنها وعن تأثيرها في حياة الناس ، ويوصينا خيرا بقطنا ، بان نرعاها ، ونهتم به ، لان كل قط اسود يسكن جسمه الجان ولذلك كان حريصا على رعايته ، فيتداين ليشتري له شيئا من الكبد كل ليلة جمعة ، وتوزعها امي على اركان البيت ، ويبيدها مجمرة بخور وهي ، تحوّل وتبسم ، وتجار بالدعاء متضرعة للأولياء ليحموها من شر الحساد ، وينكلوا بهم ان ارادوا بها سوءا ، ويمشي القط وراءها مختالا ، متبخترا ، متشما اركان البيت ملتقيا قطع الكبد ، متلمظا ، بينما ابقى انا واخوتي ننظر في قرم وبؤس ، وان اشترك ابي في قسيمة لحم وهي نادرة لا تحصل إلا بعد خمسة اشهر او ستة بعد ان يتسلم ابي اجرته من الحظيرة التي لا يعمل فيها الا بعد ان يضحى بكرامته ، ويتذلل ويقوم باعمال لا ترضاها نفسه ، ولكنه الفقر. وعمله في الحظيرة غير منتظم فهو يعمل خمسة عشر يوما ويبقى مترقبا حتى ياتي دوره بعد ثلاثة اشهر او اربعة ، واذا اشتغل مرتين متتاليتين فانه



يكون لنا عيد لانه يشتري لنا اللحم فنسعد ونفرح واذا نحن في مودة فلا خصام ولا شجار بيننا ، ولكن اغلب اللحم يأكله القط الاسود ، ذلك القميء ، اللئيم وهو دائما بجانب الاثافي يتمرغ في الرماد ، وعندما تهيء امي الطعام تطعمه هو الاول وتدله وتبجله لتنال رضاه وتنعم بعطفه عليها .

وقطنا سمين ، بدين اما نحن فكنا عجافا ، ضعافا ، فهو يسمن على حسابنا لان أبي وامي واخوتي يتبارون في ارضاءه ويتوددون اليه وهو لا يتورع عن افتكاك قطع اللحم من ايديهم ، فيشعرون بالفخر الذي نالهم لانه رضي بما عندهم ، وكانت امي وأبي يشجعاننا ويحثاننا على طلب رضاه لانه جني في صورة قط اسود ، اما انا فقد ناصبته العداة ، ولذلك لم يظفر مني بشيء ، ولم اهتم بتحذيرات امي وتنبيهات ابي ، فقد كنت احتقره ، وانقم عليه ، وكانت تعتريني حالات اتمنى فيها قتله والفتك به وراحة نفسي منه ولكن الشجاعة كانت تخونني ، وكم كنت اشعر بالقرف من عائلتي ، فانا مغيظ عليهم لانهم يتوددون اليه ويكرمونه وكأنه صاحب الفضل عليهم ، وكم مرة شجعت نفسي على مواجهتهم والثورة عليهم وتداخل نفسي الجراة واصمم واعزم ولكن لا اعرف كيف تنتابني الهواجس وتغتالني فيسقط في يدي واجدني عاجزا فاتراجع في قرارتي ، ويعاودني هاجس الثورة عندما يشتد بي الأرق فيضطرم داخلي نارا على هذا القط الاسود الذي استحوذ على البيت

واصبح صاحب الامر فيه ، وانهض من فراشي واتقدم منه ،  
ويحتد الصراع في داخلي ولكن سرعان ما تستولي علي  
خرافات امي واساطير ابي فاقول ربما يكون في كلامها بعض  
الصواب فاتجنب الصدام ، وفي الصباح انظر اليه نظرة  
الغريم لغريمه وكأنه يفهم نظرتي تلك فيحدجني بنظرة  
قاسية جارحة ، تهتاج لها مشاعري ولكنني اكظم غيظي  
واواصل مسيرتي.

وذات ليلة حل بيننا ابراهيم «بوكرواطة» وهو جوال  
افاق ، دائم الترحال والتسيار ، بحثا عن الرزق ، يصطاف  
في باجة ، يشتغل في مزارع القمح والشعير وفي الخريف  
يجني العنب في قرمبالية ، اما الشتاء فيقضيه في غابات  
الزيتون بالساحل ، ويتربع في القرية ، يتسمع الاسرار ،  
وينشر الاخبار ، فهو اذاعة متنقلة ، يختلق الاخبار ويبثها  
بين الناس ، ثم يبحث معهم عن مصدرها وبعد ان تعشى  
وشرب الشاي طفق يحدثنا عما لاقاه في حياته ، ومغامراته  
البطولية ، واثناء حديثه دخل قطنا الاسود فانقطع  
بوكرواطة عن الكلام وكانما الجم لسانه ثم استرد نفسا وقال  
سبحان الخالق لو لم تكن المسافة بعيدة لقلت انه هو ، انه  
القط الذي غير حياتي ، وجعلني اعيش مأساة طوال عمري  
فلقد ذهبت ذات صيف الى باجة وقد اشتغلت عند فلاح  
بمنطقة مزاراة واسكنني بيتا خربا ، وقد الفه قط اسود ،  
ضخم الجثة ، واسع العينين يشع منهما في الليل نور قوي ،

طويل الاذنين ، مؤللهما ، منظره ينبئ عن سوء مخبره ،  
اقرع الراس ، قصير الارجل ، يبعث الغثيان في النفس وقد  
لاطفناه بادئ الامر ، وشمelnاه بعطفنا واشفقنا عليه ، وكان  
يظهر المسكنة والتذلل والفناء حتى اننا كنا نترقبه عند  
الاكل وقد اصبح جزءا منا ، بمثابة ابننا وارتبط بنا  
وارتبطنا به ، وقد حرمننا الاولاد ، فوجدنا المتنفس فيه ،  
ولكنه ما ان انس الميل اليه ، والعطف عليه والتودد له حتى  
تجراً علينا واضحى يسرق لقمة عيشنا ويختطفها من ايدينا ،  
ويخدشنا باظافره الحادة ، ونغص علينا حياتنا فقررنا  
التخلص منه ، فوضعناه في كيس وارسلناه الى منطقة  
ناحية ولكنه في الليلة الموالية اطل علينا وحاولنا ان نقتله  
ولكنه كان اخبث منا فقد كان يحتال علينا ويحاول ان ينتقم  
منا ، ذات ليلة قائظة ، كنت في غفوة اذ انتبهت الى حركة  
في مدخل البيت ، فرايت ذلك القط يدخل متسللا كاللص  
الحذر فقلت قد حان حينه ، واصبح في قبضتي ، ساتركه  
يدخل ثم اسد عليه منفذ الخروج ، وبقيت اترقب فرصة  
الانفضاض عليه ولكنني ذهلت عندما رايت يتحول الى  
عملاق ، تشتعل النيران من عينه حتى اضيئت اركان  
البيت ، ورايت أسنانه طويلة ، سوداء ، حادة ، مسوسة  
وامتدت يداه ، كأنهما كلابان ، فاستندت الى الحائط جزعا لا  
استطيع الحراك كالْمذْهوب بي ، وتقدم من زوجتي حليلة تلك  
التي كانت تدعسه برجليها وتضربه بالعصاء ، وحملها بين  
يديه ورفعها وعصرها حتى سمعت اعضاءها تتقضقض ، قد



هلكت المسكينة ، ثم مسكها من رجلها اليسرى ولواها حتى  
قلت قد انفصلت عن جسدها ثم شدتها اليه ولوح بيدها  
اليسرى في الفضاء ، واذا بزوجتي تصيح متأوهة ، ثم  
رفعها الى فوق وقد رايت سقف البيت ينشق ، وكأنه صعد  
بها الى السماء ثم هوى بها ورماها فوق الفراش وتبخر  
واظلم البيت فهرعت لنجدتها ، فكانت المسكينة تستغيث  
وقد اشتدت الام يدها ورجلها ، ومنذ ذلك وهي تقاسي الشلل  
، وقال لنا سيدي المؤدب العزام :

« قد حم القضاء ، فذلك القط هو جني مضروب عليه ،  
وافعاله لا تكون الا شريرة ولتنجوا بنفسيكما ، علقا هذين  
الحرزين ، وضعا البخور كل ليلة جمعة في الكانون .»

سرت في جسمي رعشة وعندما التفت رأيت قطنا  
ينظر الي ، فاغضيت طرفي وشعرت بانقباض ، وتصيب  
مني العرق ، واصابني دوار وغثيان واختببت علي السبل  
فاذا انا في عالم الهواجس ، وتملكتني الرهبة وكبر خوفي  
فاذا انا في عالم كله عفاريت ، وطال ليلي ، وقررت ان ابتعد  
عن تحدي القط ، وعندما انبلج الفجر للممت ثيابي وتكورت  
على نفسي فوق حصيرنا البالي ...

قطنا الاسود اصبح مشكلة لي ، اعيشها في كل احظة ،  
فقد استولى على عقلي وامتلكه ، ولذلك كنت اتبعه ، وقد  
حاولت أن لا اتركه لحظة يغيب عن عيني ، لا تعرف على



اسرارہ واطلع على خفاياه وذات ليلة استبد بي الارق اذ سمعته يموء يموء مواء فيه حنين الشوق ورقة العواطف ولطفها ، وانصت الى الصوت فاذا فيه حلاوة لم اعهد لها من قبل ، فاطمأنت اليه ، وتجاوبت معه قطتنا فردت بنغمة اكثر رقة ودفءا ، والفيت نفسي اتجه نحو الاصوات المتناغمة المتجاوبة فاذا هي موسيقى تملك علي مشاعري وارهمت السمع ، فاذا الاصوات المنغومة تغمر المكان وتخدر الاجسام ، وتتبع مصدر الصوت ، وفجأة انقطع واذا انا امام منظر رهيب ، صعقت منه انه القط الاسود الخبيث يفترش قطتنا الحبيبة ، رايتها وهي مستسلمة تتلذذ ، فتملكني الغيظ ، واعتززت وثرث واحتقن الدم ايعبث هذا القميء بمشاعر قطتنا المغرورة ؟ ايعتدي على شرفنا ؟ وارتميت عليه اضربه ، فانشب في مخالبه ، واحتدم الصراع وكنت اترقب انتصار قطتنا لي ، وستدافع عن شرفها ، ولكنها ارتمت علي وعرزت مخالبا في ذراعي وكانها تقول لي :

« هو لباسي وأنا لباسه ، نحن نمارس طبيعتنا ، وليس لاحد حق التدخل ».

استأسد القط وكان شرسا في هجوماته ، قويا ، ضغط على رقبتني بمخالبه وارتمت علي أُمي وهي تدعو علي وتصيح :

« انك تعرض نفسك لنقمة الجن ، حذرتك كثيرا ، انك

عاص شرير ولن اعترف ببنوتك منذ الليلة ؛ اما ابي فقد  
اتقدت عيناه واحتقن وجهه غيظا وانتفش شعر راسه حتى  
خلته قد قضى وقال بلهجة حادة :

« لعنة الله عليك الى يوم الدين ، انك قد عرضت نفسك  
لغضب الجن الا تعلم انهم قد ذكروا في القرآن ان نقيمتهم  
ستكون قاسية ، اخرج من بيتي ، فانت ملعون مطرود . »

ورابت القط والقطعة يقفان جنبا الى جنب وقد علت  
وجهيهما لذة الانتصار وتخطبت عيونهما وكانهما في لحظة  
الغرام ليلة الزفاف.

واعجب بنفسه وداخله الفرور فاضحى لا يبالي  
بالمغامرات يتحدى كل من يعترضه وكنت آتني ان انفرد به  
في مكان قفر لا تار لنفسي على اني كنت اخافه واتهيبه ،  
ولكني كنت اشجع نفسي ممنيا اياها بالانتصار قائلا :

« ما شأنه ؟ انه قط ولو سكن جسمه جني فانا انسان ،  
وعلي ان احتال له لاجد منه مقتلا ، وكأنه عرف ما اضمرة له  
فاضحى يتحاشى ملاقاتي منفردا .

وشاع في القرية ان قطنا الاسود يتحدى شعبان الوادي  
هذا الذي راجت في شأنه الاساطير ، وتقول الناس في شأنه  
الكثير ، ورددوا بطولاته في خرافات يهتز لها قلب الشجاع ،  
قد افزع الرعاة وروع الاهالي وتسكت به الامهات ابناهن

في الليل ، يلتهم ما امامه ، كم من بطل نزل لمبارزته ففتك به واضحى اسطورة لا تنتهي فمن قائل انه يشرب ماء الوادي كله ولا يترك قطرة تجتازه الى الفلاحين ولذلك كثرت السنون العجاف ، وقد تردد ان الشعبان يخور كالثور حتى اذا اتت الابقار التهمها ، وقد اشاع بعضهم ان الزرع الذي يبس بعد الاخضرار كان قد اتلفه الشعبان بسمه حتى ان الامطار خافته فامتنعت عن النزول ، ووجد الرعاة منفذا لسرقة اموال الفلاحين ، فكل شاة يبيعونها يشيعون ان الشعبان التهمها واصبح الشعبان يسد على الناس موارد الرزق. وفي قيلولة قانضة اتجه القط نحو الوادي ، وكنت اول قادم لارى مصرع القط الذي ارهق اعصابي ونال مني ، ووقفت في موضع ارى منه بدقة خفايا المعركة ومنه يستطيع ان يراني القط ، فظهر له الشماتة وارى مصرعه واصيح فرحا بموته. واقبل عليه الشعبان في عنفوان غضبه اذ كيف يتجرأ ويأتي الى الوادي وهجم عليه وبدا الكر والفر وكثرت المراوغات والتوى الشعبان على القط وعصره فمأء مواء الهلاك وقلت تلك هي نهايته ولكنه انفلت منه بطريقة ذكية وارتمى عليه في قوة وبسالة وانشب مخالبه في رأس الشعبان فاذا الدم ينزف بغزارة وتصايح الناس يشجعون القط وجأروا بالدعاء الى الله لينصره ويكفيهم شر الشعبان المقيت ثم ارتمى على رقبتة وغرز انيابه فيها وضغط عليها بمخالبه فاستسلم الشعبان وتراجع القط منتصرا، وانتشى الناس وسموا الوادي «وادي القط الاسود».



فرح اولاد سيدي محمد لان الخطر الذي كان يهددهم قد زال ، وامنوا على اموالهم وارزاقهم ، ولكن في انفسهم ما كانوا يودون ان يزول بمثل هذه الطريقة وعلى يد هذا القط الاسود ، وودوا لو كان هذا القط ملكهم وبذلك يضيفون شرفا لعزهم وسؤددهم وعاد القط من المعركة مستنسرا ، مستأسدا ، والناس وراءه يمجدون بطولته وهو يتقدمهم منتفخا منتفشا كالقائد المنصور فقد غزا العدو في داره ، وانتصر عليه ، واتجه نحو زاوية سيدي احمد الشريف وقفز فوق التابوت وسلح فرأوا في ذلك شرفا لهم وسرعان ما احضروا قطعة كبد ، وقد موها له في لطف ، وتودد وتحنن ، وتملق فتشممها وتأفف ثم تاخر ، فاهتزت قلوبهم وارتجفت خوفا من ان تحل بهم اللعنة ، قصد بيتنا متبخترا ووقف امامه ثم أقعى فزغردت امي فرحة بهذا العز الذي دخل بيتنا اول مرة وسنفاخر به اولاد سيدي محمد ، وخزرت لي وكانها تؤكد صدق نظرتها ودخلت الى البيت مسرعة واخرجت قطعة قماش خضراء اللون وفرشتها امامه فتقدم واستلقى فوقها فاغرورقت عينا ابي بدموع الانتصار على اولاد سيدي محمد وهلل وكبر فردد الجمهور ، وانطلقت السنتهم بالتهليل والدعاء ثم تحلقوا حوله وهم يتحدثون عن بطولته ، ويمجدون بأسه ، وشجاعته واقدامه ، انه يستحق التعظيم ، والتكريم ، لانه انقذهم من خطر فتك بهم كثيرا ، وهو ليس قطا عاديا ، ليس من فصيلة قطننا وتوزعت الحلق حوله تمجده وتعظم شأنه ، وبقوا ساهرين وهم



يترقبون لفظة منه ولكنه كان في شغل عنهم ثم طفق يتمرغ ويتقلب ويموء مواء خافتا ينم عن ألم داخلي حاد فجلبوا له زيتا من الزاوية فيه بركة سيدي أحمد الشريف ودهنوه به عليه يشفيه أو يخفف من أوجاعه ويزيل ما به من الألم واتعاب ، ولكن حرارته ارتفعت وخفت صوته وبج وطفق يتلوى فاندعش الحاضرون وذهلوا ، وسقط في أيديهم وتدافعت قلوبهم ، غصت حناجرهم وبقوا صامتين ، لا يدرون ما يفعلون ازداد كربهم واشتد مصابه وتعقدت أزمته وانعصب امره وقال أحدهم :

« ان السم قد فعل فعله وخالط الدم منه »

فاجابه الآخر :

« ان السم لا يؤثر في القطط »

ونجم شخص من الحلقة قصير القامة ، دميم الخلقة لم

اره في قرينتنا من قبل وقال :

« اذكروا الله إنه ليس قطا انه .... وصمت كأنما قطع لسانه .»

وعند انبلاج الفجر حشرج القط حشرجة قوية

وارتعش وغرغر فتقدم منه والدي واسنده الى ركبته

ولكنه لم يتحرك ، ونهض والدي دافع العينين وهو يردد : «

سبحان الله ولا اله الا الله كل من عليها فان كل نفس ذائقة

الموت » ورجع الناس وراءه ثم قاموا وتقدموا منه يعزونه

في هذا البطل الذي ضحى في سبيلهم وقدم نفسه قربانا

لخلاصهم.

وبعد مدة تحول بيتنا الى زاوية شامخة ، واقبل عليها  
الناس يتبركون بها ويتوسلون لقضاء حاجاتهم ، ويقبلون  
القبر ، وزغردت امي فرحة لان ايام البؤس قد انمحت ، اما  
ابي فقد فرح بهذا المجد ولعن الفقر والظلم وقال صدق الله  
العظيم « ويرزقكم من حيث لا تعلمون » قد صبرنا ونلنا ما  
تمنينا وانفجر اولاد سيدي محمد نارا متقدة ، وغيظا  
حارقا.

حمودة الشريف كريم



سومرست - موم  
تعريب  
محمد بلحاج صالح

## الرجل ذو السيمة

كانت سيمته عريضة حمراء تمتد على شكل هلالى من صدغه الى ذقنه. وهي التي جعلتني ألاحظه لأول مرة. فلا بد أن تكون نتيجة جرح مهول . وتساءلت : أكانت نتيجة ضربة سيف أو شظية قذيفة ؟ فلا أحد يتوقع أن تكون على ذلك الوجه المستدير الممتلئ البشوش. كانت قسماته دقيقة وليست واضحة ، وتعابير ساذجة. وكان وجهه لا يتناسب مع جسمه البدين . وكان رجلا قويا يزيد طوله على الربعة. لم أره مرتديا الا بدلة رمادية رثة ، وقميصا كاكيا ، وقبعة سامبريرو بالية . وكان قدرا ، وكان يأتي الى فندق بالاس في مدينة جواتيمالا كل يوم في وقت الكوكتال ، فيدور بتمهل حول المشرب مقدما تذاكر اليانصيب للبيع. واذا كانت هذه هي وسيلة عيشه فلا بد أن تكون وسيلة عديمة الجدوى ؛ لانني لم أر أحدا اشترى منه ؛ ولكن من حين لآخر يعطى مشروبا فلا يرفضه أبدا . كان يشق طريقه بين المناضد بنوع من المشي كأنه قد تعود تخطي الحواجز داخل مسافة طويلة ، فيتوقف عند كل طاولة ، ويذكر الارقام التي عنده للبيع مع ابتسامة رقيقة . وحين لا يهتم أحد به يتجاوز به بنفس الابتسامة. وأظن أنه كان في أغلب الاحيان ثملا.

كنت في إحدى الامسيات أقف بجانب المشرب مع رجل أعرفه ورجلي فوق الحاجز - وفي فندق بالاس بمدينة جواتيمالا يصنعون ما رتيني جافا ممتازا - حين صعد الرجل ذو السيمة حركت رأسي لأنه منذ وصولي قدم لي تذاكر يانصيبه لأراها أكثر من عشرين مرة. ولكن مرافقي أوماً بدماثة.

- كيف حالك يا حضرة اللواء (1) ، كيف هي الحياة ؟  
- لا بأس بها ، الشغل ليس جيدا ، ولكنه قد يكون أسوأ.

- ماذا تشرب يا حضرة اللواء ،  
- براندي.  
صبه في حلقه ووضع الكأس فوق المشرب ، وأشار الى صاحبي :

- شكرا ، ومع السلامة !  
ثم تحول عنا وقدم تذاكره الى الرجال الواقفين بجانبنا ، فسألت :  
- من هو صديقك ؟ وتلك السيمة المربعة التي في وجهه !  
- هي لا تضيف شيئا الى جماله ، أليس كذلك ؟ هو كمنفى من نيكاراغوا. هو بالطبع متوحش ولص ، ولكنه ليس رجلا رديئا. أعطيه بعض النقود من حين لآخر. كان لواء ثوريا ، ولو لم تنته ذخيرته لقلب الحكومة وأصبح وزيرا للحربية عوض أن يبيع تذاكر اليانصيب في جواتيمالا. لقد قبض عليه مع موظفيه متلبسين بالجريمة ، وقدموا للمحكمة العسكرية. ومثل هذه الاشياء تكون عاجلة في هذه البلدان ،

(1) اللواء : ترجمة للرتبة العسكرية : Général



وحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص عند الفجر. وأظن أنه يعلم ماذا ينتظره حينما قبض عليه وصرف الليلة بالسجن هو والآخرين ، وكان عددهم خمسة ، فقضوا الوقت يلعبون البوكر. فاستعملوا أعراف الكبريت عوض الفيشات. قال لي: إنه لم يصب بسوء الطالع في كامل حياته مثل ما أصيب به في تلك الليلة. كانوا يلعبون بمجموعات قليلة ، الولد للاستفتاح ، ولكنه لم يحصل على ورقة ، ولم يتحسن حاله أكثر من ست مرات في اللعب كله. وكلما اشترى فيشات جديدة خسرها. وحينما طلع النهار وأتى الجنود الى الزنزانة لاخذهم لتنفيذ حكم الاعدام خسر من الكبريت ما يخسره رجل معتدل في حياته كلها.

سيقوا الى ساحة السجن ، ووضعوا أمام جدار :  
خمسهم الواحد بجانب الآخر ، مواجهين فرقة التنفيذ .  
حصل توقف ؛ فسأل صديقنا الضابط المكلف :

- باسم الشيطان لماذا يتروكونه يترقب.

فأجاب الضابط :

- ان اللواء الأمر للقوات الحكومية يرغب في حضور  
تنفيذ الحكم وهم يترقبون وصوله.  
فقال صديقنا :

- اذن عندي وقت لتدخين سيجارة اخرى ، كان دائما لا  
يأتي في مواعيده.

وما أن اشعل سيجارته حتى قدم اللواء. وهو سان  
أجناسيو ، وبالمناسبة : لا أعرف أن كنت قد قابلته أبدا -  
يتبعه معاونه ، قدما الى ساحة السجن. فأجريت له المراسيم

المعتادة. وسأل سان أجناسيو المحكوم عليهم ما إذا كانوا يرغبون في شيء قبل تنفيذ حكم الاعدام ؟ فحرك أربعة منهم رؤوسهم بالنفي ولكن صديقنا تكلم.

- نعم ، أرغب في وداع زوجتي.

فقال اللواء :

- حسن ، لا اعتراض عندي على هذا ، أين هي ؟

- تترقب في باب السجن.

- اذن فهي سوف لا تؤخر أكثر من خمس دقائق.

فقال صديقنا :

- لا أظن ذلك يحصل يا سيدي اللواء.

- ضعه الى جانب.

تقدم جنديان وأخذوا المحكوم عليهم الى المكان الذي أشير اليه. وأعطى الضابط المسؤول عن الجنود المكلفين باطلاق النار الإشارة بعد ايماء من اللواء ، فكان دوي حاد ، وسقط الرجال الأربعة . سقطوا سقوطا غريبا ، ليسوا جميعا مع بعضهم ، ولكن واحد بعد الآخر ، مع حركة غريبة كما لو كانوا دمي في مسرح للعرائس. وذهب الضابط نحوهم. وأفرغ في احدهم الذي مازال حيا ماسورتين من مسدسه. وأنهى صديقنا سيجارته ورمى بالعقب.

حدثت جلبة صغيرة بالباب الخارجي. ودخلت امرأة الى ساحة السجن بخطى سريعة ، يداها على قلبها ، ووقفت فجأة. وصرخت ، وفتحت ذراعيها وجرت نحو الامام.

فقال اللواء :

- مرحى !!

كانت تلبس الاسود ، وخمارا يغطي شعرها. وكان وجهها ممتقعا ، لا تتجاوز عمر فتاة ، مخلوقة نحيفة ، ذات سيماء متناسقة وعينين كبيرتين قد أذهلها القلق ، كانت فتنتها على تلك الصورة ، وجرت مفتوحة الفم قليلا ، فبان الالم المبرح الجميل على محياها فشدت المفاجأة أنفاس الجنود غير المبالين على الرغم منهم ، فنظروا اليها.

فتقدم الثائر خطوة أو خطوتين لمقابلتها ، فرمت بنفسها في حضنه مع بكاء عاطفي أجش : روح قلبي ، فضغط بشفتيه على شفتيها. وفي الوقت نفسه سحب سكيناً من قميصه الرث - ولا أعلم كيف استطاع الاحتفاظ به - وطعنها في العنق ، فتدفق الدم من الوريد المقطوع وصبغ قميصه ، ثم أحاطها بيديه ، ومرة أخرى ضغط بشفتيه على شفتيها .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

حدث ذلك سريعا جدا ، حتى أن كثيرا لم يعلموا ماذا حصل. ولكن خرجت من الآخرين صيحة رعب ، فاندفعوا نحو الامام وأمسكوا به. فأرخوا ضغطه عليها ، وكادت الفتاة تقع على الارض لولا أن مساعد اللواء أمسكها. فكانت فاقدة للوعي. فوضعوها على الارض ووقفوا ينظرون اليها والأسى باد على وجوههم. والثائر يعلم أين يطعنها ، وكان من المستحيل ايقاف الدم ، وفي لحظة وقف مساعد اللواء الذي كان على ركبتيه بجانبها.

وهمس : ماتت !!.

رسم الثائر علامة الصليب على صدره.

فسأل اللواء :

لماذا فعلتها ؟

- أحبها.

واطلق الرجال الذين ازدحموا زفرة ، ونظروا بوجوه غريبة الى القاتل. ونظر اليه اللواء لحظة وهو صامت. وقال أخيرا :

- كانت اشارة نبيلة ، لا نستطيع تنفيذ حكم الاعداد في هذا الرجل. خذ سيارتي وقده الى الحدود. سيدي أقدم اليك تقديري الذي يأتي من رجل شجاع الى آخر مثله. فانطلقت مهمة استحسان من الحاضرين. فربت مساعد اللواء على كتف الناصر ، الذي سار بين جنديين دون أن ينطق بكلمة نحو السيارة المنتظرة.

سكت صديقي وبقيت مدة صامتا. ولا بد من القول : انه كان في جواتيما لا وتحدث الي بالاسبانية ، وقد ترجمت ما قاله لي بقدر ما استطيت. ولكنني لم أبذل أية محاولة للتلطيف من لغته الرومانتيكية ، وهي في الحقيقة كانت مناسبة للقصة.

وأخيرا سألت :

- ولكن كيف حدثت له السيمة ؟

- أوه ! تلك بسبب زجاجة انفجرت وهو يفتحها ! زجاجة من بيرة الزنجبيل. فقلت :

لم أحبها يوما من الأيام.

تعريب

محمد بلحاج صالح



## الحلاج يموت مرتين

« كن مع الحق بحكم ما أوجب »

من هناك - قرب نفق الارتال - على يمين الاكواخ  
القصديرية - ولج الحلاج المدينة .. شيء ما تبدل فيها ..  
شيء ما قد حدث فيها .. العيون الناعسة الحزينة دمعت من  
زهوها .. الاجفان المرتبكة تخففت من ثقلها .. الوجوه  
السمراء الكالحة فقدت تعاستها .. حتى الشوارع غيرت  
أسماءها القديمة ، ولم تعد الارض هي الارض ولا المدينة هي  
المدينة.

تأمل الحلاج أمامه في ضمت ، أطفال يلعبون بطيارة من  
ورق ، يتحدثون بها جنون الرياح .. يشدها أحدهم اليه بخيط  
يطلقه وبحركة سريعة معاكسة يجذبه ساخرا .. البقية حاموا  
حولها ، يرمونها بالحجارة وهي على عشرة أمتار .. في  
احدى معاكساته تقطع الخيط . أو أفلت من يد الطفل فابتهج  
الصبية وصاحوا في حماسة :

- سقط المتوحشون في الساحة !!

وجروا مرددين شعارهم في صخب وفوضى ، بينما تابع  
الحلاج بانتباه شديد سقوط الطيارة .. ثم وهي تطوى تحت  
عجلات السيارات ..

شوارع المدينة تغطت بالطائرات الكرطونية المحطمة ،  
وأبصار الناس تعلقت برسوم الاطفال المضحكة التي كانت  
تلوح وتختفي من خلال الفضاءات المتروكة بين العربات  
يفكون رموزها ، ثم ينطلقون مبتسمين .. لقد أصبحت لديهم  
المقدرة على النظر بجرأة الى الابواب والجدران .. لاحظ  
الحلاج مع ذلك زوال اثر الرسوم عن الحيطان .. فتمتم يحدث  
نفسه :

« انفجرت الارض أخيرا ، وتمردت بالفعل ، ذهب  
الظلمة التي كانت تعمرها هجمات الشيوخ جفاء .. تبددت  
بوحى الصفار .. وبأمر الرب يزول هكذا : الشرير من لا  
يترك طريقه ورجل الاثم من لا يترك افكاره .. »

ثم بسط يده في الهواء وشخص ببصره في الفراغ  
وكأنه يتابع نقطة مجهولة تضمحل في العدم ..

الساحة التي يقف أمامها الحلاج واسعة وجميلة مقارنة  
بما يوجد في الجهة الشرقية حيث ان الفواصل بين ثنايا  
المترجلين معشبة. تتخللها مسطحات حديدية مخفية بعناية  
تستعمل للري. بينما تسقى أحواض الزهور الدائرية  
والاعشاب التي في وسط الساحة مباشرة من النافورة  
بطريقة الطرد على شكل زنبقة متفتحة. وحين تشبع التربة  
تتغير الطريقة فيرتفع عمود الماء الى أعلى ويتساقط وسط  
الحوض الصغير .. خلف النافورة مباشرة ضريح من

الاسمنت المسلح ولافتة رخامية كتب عليها باللون الاخضر :  
- الطفل الرمز - وفوقها بخط كوفي جميل : « ظهورنا حمى  
ودماؤنا حرام فلماذا تقتلوننا ؟ ». ويمكن للحلاج أن يرى من  
مكانه رجال الشرطة وهم يحاولون منع جمهرة من المادة من  
الالفاف حول مخرج تلفزي يقوم بتصوير مناظر من الساحة،  
للذاكرة طبعاً. وشباك الذاكرة المرئية لا تحمل الا الهوامش ..  
على طرف الضريح يتكئ شيخ يبدو عليه الارتباك .. عيناه  
تدوران في محجريهما وحينما تثبت عدسة الكاميرا على  
وجهة يحني رأسه .. في تلك اللحظة تشق ذاكرة الحلاج  
صفوف طويلة من الدلاء والعنت الشديد .. رجال البوليس  
بهرواتهم البيضاء ونعالهم المشوة بالغضب والجنون  
يحملون الناس على الاصطفا في طابور ..

أواني على الرؤوس ، عطش يلهب الافئدة وبكاء.

أنايب الماء مسدودة بأمر على كافة الاهالي وللتحصل  
على جرعة ماء لا بد من الهدايا .. وقد تكفى الصفعة  
والشتيمة للمحظوظين من الذين لا يملكون أن يقدموا شيئاً  
.. كان الحلاج يقف بعيداً وعنقه قد تخدرت من شدة التوتر  
في حين تسقط امرأة حامل من الاعياء فينخرم النظام ..  
تندفع أذرع متطوعة لاعادة ضبطه بالطويق التي تناسب  
الوضع ...

أواني على الرؤوس ، عطش يلهب الافئدة وبكاء.

يمر رجل قد أثقل كتفه جسد طفل .. من الصعب على  
الحلاج جمع صورتها في ذهنه. ولكن وجه الرجل قطعاً لا

يختلف كثيرا عما هو عليه الآن .. شفاه الطفل ابيضت من  
الظلماء ، يتمتم برجاء : ماء !. ماء !. والرجل يقفز هنا  
وهناك يحاول افتكاك الماء عنوة فتصدده الهراوات .. قرب  
فورة الماء يكبو وكأنه ينتصب على دقائق قلبه .. يمرر راحة  
يده على ظهر الطفل وهو يصيح ويبكي : « لا تمت يا بني  
أريدك أن تشاهد الجبال وهي تغور أنهار .. امكث معي يا بني  
ولا تفارقني حتى نشاهد الجبال معا وهي تغور أنهارا .. »  
أواني على الرؤوس ، عطش يلهب الافئدة وبكاء ..

تدمع الاعين .. تتشنج الاعصاب عن السم ولا أحد يقدر  
على فعل شيء .. انت أيها الحلاج من يسكن المرتج ويسوى  
المعوج ، فقم الى المدينة فأحييها .. تدفعه نفسه ، فينطلق  
الحلاج صوب الرجل .. يزيح يده ويحمل جثة الصغير .. باردا  
كالثلجة يميل على الناس ، يفترس في وجوههم .. ملعونة  
هذه الرائحة .. ملعونة الارض التي حملتهم .. يلتفت وبخطى  
متعثرة يتجه نحو ضابط البوليس فتتسابق اليه الارجل  
تجبيه عنه .. يصرخ فيهم قائلا :

- ظهورنا حمى ودمائنا حرام فلماذا تقتولننا ؟  
شبه ابتسامة ساخرة تلوح وتختفي على شفتي الضابط  
وباستهزاء يجيب :  
- معذرة الى أسيادنا . ولعلكم عن ركوب رؤوسهم  
تعدلون .

قال الحلاج :  
- انكم ترتكبون بذلك أثاما .



فقهه الضابط كالمسعود حتى بانث ثنيتة وهو يردد  
بصوت مرتفع :

- وستكبر معك أئامنا .. ستكبر معك أئامنا ..

ثم أشار بيده النظيفة الى رجاله فسحبوه من رجله  
على الوحل وراحوا يضربونه ويبصقون في وجهه حتى غشي  
عليه .. في المساء ، كان الحلاج قد اختفى تماما وكأن السماء  
قد رفعتة اليها.

الشمس تميل الى الغروب وظلال الاطفال بدأت تزحف  
نحوهم أكثر .. خيال الطيارة الجديدة في أعماق السماء  
ارتسم على بدن الشيخ وكتفيه فانعكست على سطح الارض  
صورة مختلطة الاشكال هندسية متداخلة تشبه في جملتها  
لافتة للمرور .. تنتقل العدسة بين اللوحة الرخامية على  
الضريح ووجه الشيخ المشحون بالانفعالات ، وقد لمعت عيناه  
وتضوع الصدق من بين شفثيه .  
<http://Archivebot.org/Sahih.com>

« زمن رديء ، كنا فيه صغارا وهم جبابرة يملكون الماء  
والسطل .. صنبور في نفس هذا المكان يشرفون عليه  
بأنفسهم ويجدون متعة في اذلالنا .. كنا نحوم حولهم  
نتساقط كقطرات العرق في وحلهم وعذرنا في ذلك أن  
المدينة يبست محترقة وأنايبها جافة تفيض عطشا .. كنت  
قد نصحت زوجتي بورق الشجر .. أسرى في الشوارع  
لاحمل لها منها ما يكفي لصنع عصير يذهب العطش عنا رغم  
مرارته .. جافة هي الارض مورقة هي الشجرة وهذا ما  
جعلني لا أقنط أبدا ..

ذات ليلة ، تسللت لاقطف من الاشجار أوراقها ..  
انحدرت من شارع الى شارع متنقلا من شجرة الى شجرة  
بحثا في الفروع والاصصان فلم أعثر على شيء .. أيعقل أن  
تتعري الاشجار هكذا دون أن ننتبه اليها !! أيمن أن يحل  
الخريف في يوم وليلة !! انه أمر لا يكاد يصدق .. احترت في  
أمري والامل يفرر بي حتى كلت رجلي فعدت أدراجي  
تخامرني أفكار شتى .. حينما أخبرت زوجتي بما أسفر عنه  
تجوالي لطمت وجهها ولعنت الخيانة ثم بقيت مدة من الزمن  
ساهمة تعض على شفثيها وتتمتم بحيث فهمته فينا بعد ..  
لم ألمها على ما فعلت فنحن لا نستطيع أن نكتم سرا عن  
جيراننا خاصة إذا ما تعلق بحفظ كرامتهم .. كرامتهم .. غير  
ان ابني صغير لا يعرف للتكافل معنى ولا يستطيع التصبر  
مثلنا .. فقد ازعجني بصراخه الدائم وبكائه الطويل: أبي ..  
أمي .. ماء ..

- من أين لنا الماء وأنابيب المدينة جافة تفيض عطشا ..  
واشجار المدينة جرداء موحشة . نم يا بني فغدا ستفور  
الجبال انهارا . ستحبيل المدينة غدا ولن يلتهم أهلها  
أعشابها ..

أحدث نفسي وانسحب تاركا زوجتي تحتضنه .. تدس  
حلمة ثديها في فمه فيتقيأها .. تقربها اليه ثانية فيدفعها  
بيديه مناشدا الماء .. «

يتوقف الشيخ عن الحديث .. يلصق أظافره عن مفرق شعره ويروح يركز على أسنانه . يحاول أن يخنق عبرة بدأت تلمع فوق خده .. في الاثناء . يتقدم الحلاج مقتربا من القبر وقد بلل رذاذ الماء جانبا منه محدثا وقعا موسيقيا متناغما مع دافع السؤال : لقد وجدت الماء أخيرا فهل تراك ارتويت؟! يقترب الحلاج أكثر ليعلم . فيتجه اليه شرطي يمنعه من التحرك .. بعيدا عن هنا .. وينصرف . بينما تابع الشيخ حديثه وقد ازداد الناس التصاقا به الى حد الاختناق:

« زمن ردي كفا فيه ... »

قال صاحب الحلاج : رأيت الحلاج بعد هذه الحادثة في حديقة بالمدينة تحت شجرة كبيرة يتابع سلوك القوم وأحاديثهم وقد أخبرت رفاقي فادعوا أنني أتوهم ما لا يمكن أن يحدث . فالحلاج قد قتل من زمان . وحين أكدت لهم صحة ما رأيت راحوا ينظرون في وجهي . ثم قال لي احدهم على لسان كل الرفاق : نحن نريده ميتا ، ماذا تفيد حياته الآن .. ثم تفرقوا من حولي .

فؤاد سيالة

خديجة الجويني

## حالة تقيوء مرطوب

ما أوحش الليل !..

قد يكون الليل ، ليلا مليئا بالمباهج بالنسبة إلى أولئك  
القادرين على استقباله ، هم في إمكانهم أن يحدّقوا في كل  
شيء مضمخ بروائح الآمال المتوامضة كالنجوم ... آمال  
سابحة في مدارات السّموّ ، وديعة ، آمال تبحث عن قمر  
يستدير قبل مجيء غيوم الخريف ... هم أيّامهم منظومة  
للفرح .. ولياليهم مطرزة بالصفقات الراحبة ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ما أوحش الليل ! هو الليل يجيء ، يسعى بهدوئه بين  
البيوت .. ويحدث أن تتماوج ظلماته مثيرة في عمقي أسئلة  
طالما سمعت الصّمت يردّها .. هل بلغت غايتي منتهاها ؟  
وحين ترتخي جفوني يبقى الليل الباب المؤدي للمكائد ،  
ووقت للنزاع الجشع ...، أتشاغل برتقي حلما أمسى بأرض لا  
أبلغها ... وإذا شئت أزعّم أنني أفضل أن أتسلّى بذكر ما لا  
رجعة له ... ترى هل الحبّ وحده ينسج الحياة ؟! ... أطيل  
الوقفه أمام السؤال .. وإذا ما حلّ بعقلي التعب يرشح  
جسدي بالعرق ...



وأسير في الصَّبَّاح على الحصى أنثره برجلي ..  
وأستريح في القيلولة فادع الحركة لذراعي ، فتلطم إحداها  
خدِّي بلا وعي ... واجتاز الدَّهْشة إلى الفهم ...

ما أوحش الليل ! هو الليل يجيء كالمعتاد ، يتسلَّق  
البيوت .. فتتدفق الظلمات تغمر الدُّكاكين ، والأشجار ،  
وأعمدة الكهرباء وتتجمّع فوق بيتي كسحب كثيفة ، ثم تحطّ  
بكلّها على الأشياء ، وتترامى خيالاتها تحتل المساحات  
المضيئة وتعتّمها ...

ما أوحش الليل ! هو الليل يجيء بلون الهباب ،  
يتربص بدوائري المضيئة حيثما أسير ، أينما يتجه يهدم  
قبلتي ، ويزرع في طريقي حوادث النّهارات ، أهتزّ ،  
أنتفض ، تغيب البدايات ، تغيب النهايات ، ويبقى وجه أمي  
الحزين ، وصوتها الذي يقول : إنني أحتاجك إلى جانبي ،  
وصوت صديقي الحميم يقول : سافر ، سافر ... وأتوقّع أن  
أفتح عيني في الصَّبَّاح على شمس تغرق بقايا الليل في  
فيض من شعاع وبحر من ألوان .

ما أوحش الليل ! هو ليل مليء بالمباهج بالنسبة إلى  
أولئك القادرين على استقباله هم بإمكانهم أن يستخرجوا  
كنوزه ، فيصوغون أحلامهم ، وينضجون أفراحهم ويحتفلون  
بها ويفاخرون ... وكيف لا ؟ فهم يهرعون إلى الأسواق ،  
ويعودون مثقلين بالحمولات .. و .. تغلق الأبواب .. كل

الأبواب تغلق : أبواب الحوانيت ، أبواب الدكاكين ، أبواب المؤسسات وأبواب البيوت .. حتى أبواب الغرف تغلق . النوافذ أيضا تغلق ، الجميع يخشون المتطفلين .. يخشون المختلسين .. والدأني والقاصي يستطيع أن يميز ما يقرأه على أعمدة الصّحف ... ولا غرابة أن يتأثر القراء بما يسجلون عن الحياة اليومية في مختلف ميادينها ، وتغلق الأبواب والنوافذ .. ثم تنهمر الخطوات وثيدة . وتقترب الأجساد في ألفة وحميمية . ويسري الهمس .. تتلامس الأصابع .. ترتعش الشفاه ... تتعانق الأصابع .. وتضغط الكفّ على الكفّ في مصافحات وفق المواقف . وفق التفاهم . وفق الحالات ، ووفق الأوضاع ... وتسقط حزم أوراق في يد . وتوقع يد أخرى الاتفاق . ويعلو صراخ طفل ويتكورّ طفل آخر في سرير دافئ ... و ...

أنهض ... أنفض عني إحساس السقوط ... « جار يسطو على جاره » أؤكد لنفسي أنني لست بحاجة إلى استعراض دلائل النعيم ، فجاري لا يقرأ الصّحف . والطريف أن ليس ببيتة ما يغويني .. حتى ابنته فهي لا تنفع .. رغم أثوابها الجميلة الزاهية .. وألفاظها الباهرة لم تستطع أن تدفعني إلى المجازفة بأن أنفذ إلى قلبها ...

- رئيسي في العمل فاقد القدرة على الإمساك بفكرة واحدة .. هو يعدني في كلّ مرة بترقية حتى يعصف بي

الفرح . ثم ينسى الأمر ... هو يفعل ذلك كلما يتفطن إلى  
كوني بدأت أفيق وأميل إلى آراء المتشائمين ...

ما أوحش الليل !.

أدعك عيني بأصابع متشنجة ، وأتشاءب . أسمع  
إيقاعات ملتوية .. اصدقائي المقربون هاجروا .. التصقت  
صفة الفشل بي .. أصغر إخوتي أخبر زوجته أنه سيتقدم  
بمطلب لوكالة التعاون الفني في بلدان الخليج ... استطاع  
في النهاية أن يتحرر من المنغصات اليومية بشكل ناجح ...  
حمل حقائبه ، وغاب ... لا أدري كيف استطاع أن يمحو  
مخزون ذاكرته ؟! لعله حقق المعادلة هناك . غير أن رؤيته ،  
لو يعود ، قد تجعل أمه أكثر صحة ... لقد كانت نضرة ،  
مرحة ، نشيطة قبل رحيله ، وبدأ وجهها يذبل ويذبل حتى  
صارت لا تثيبني بسمتها تلك العذبة العادية ... وصار الليل  
ليلا كئيبا ... ليلا مليئا بالايقاعات الحزينة ... وممرات بيتي  
لا تؤدي إلى أبواب مغلقة أو مؤاربة ... أصبح للايقاعات ...  
أتشاءب . أتمطى .. ليس لي جهد أن أغادر فراشي و ... لم  
يتمخض الليل عن شيء باستثناء تلك الوحشة التي فاضت  
تلطخ نفسي بالإرهاق والتعب .. رحلت جدتي أيضا . وذهبت  
تنام في حفرة ، وبدأت مواعيد النوم تتأخر ليلة بعد ليلة ...  
أترلق من فراشي في صمت .. أتجه إلى النافذة ، وأظلل أعد  
النجوم ... من يحصي النجوم تنبت الثاليل في كفه .. كانت



تقول جدتي : لم ينبت في كفي شيء .. حتى الأوراق النقدية  
التي يبذرهما في كفي المصرفي طالما تمنيت أن تورق  
وتتكاثر.. أن تزهر .. وأن ..، عساني أن أخطف بنتا وأزرع  
في عيني أمي الفرحة ... طالما تمنيت أن تثيبني أمي بتلك  
البسمة العذبة التي أفقدها ...

« اللي تعدى وفات زعمه يرجع وله نعيش بعلي نتوجع »

يتردد مقطع الأغنية في عمقي .. أتنهد ، ثم أسلم رأسي  
للسادة .. أستعرض دلائل النعيم .. لي وظيفة .. وراتب ..  
وأسرة .. كانت عائلة تلافني .. ولي زملاء .. هم زملاء  
متحاملون وللوصول إلى حالة توازن فهم أصدقاء بديعون  
بدرجة تقل أو تزيد . وعلمتني التجارب أن أتنازل بعض  
الشيء عن رقتي . وصار مزاجي لا يعرف الاعتدال . والمدير  
المسؤول في العمل متحمس لمشكلتي ... يبتسم لي ، وأبتسم له ،  
وأواصل انشغالي بعملتي ... أفاتحه في موضوع الترقية ...  
يحدثني عن تكاسل العمال وعدم انضباطهم ، وامتنالهم  
للأوامر الادارية ... أقاطعه بتقديم مبررات ، فيواصل حديثه  
حول موضوع آخر لا يمس ما أطالب به أساسا ... والوقت  
يمر ، والمسؤول يثير مواضيع شتى ... أعذر له بأني طرقت  
باب مكتبه في وقت ليس مناسباً . والدليل !! إنه مشغول  
بدراسة ملف العمال ... ينهض ، ويفتح الباب واسعا ،  
ويصرفني لا عليك . أنا أعرف صعوبة الأمر ... لا تشغل  
نفسك بالموضوع ...



وأنشغل بموضوع الترقية ، ووجه أمي يذبل ... أمي  
التي كانت تثيبني ببسمة عذبة ، صارت تصرخ في وجهي :  
ما الذي تنتظر ؟ سافر أنت أيضا ... أم أنك لا تستطيع ؟!..  
أمي التي انتشر أولادها عبر بلدان الخليج . غابوا سنوات.  
ثم عادوا ليزوروا الفنادق الفخمة ويتفسحوا مثل السياح ،  
وقبل أن تبرد مياه الشواطئ يحزمون حقائبهم ويرحلون  
كالسياح ... وكالسياح أيضا صاروا يودعونني « بون  
كوراج » « أ أن دي سي جور » ... بون كوراج ، الكوراج  
يخذلني ... يخذلني وأنا أحلم بببيت هادئ ومريح ، وفي  
نيتي أن أخطف بنت الجيران تلك التي ترتدي أثوابا جميلة،  
أعرف أنها ترتديها لأجل أن أثيبها بإشارة ...

وأبوح لصديقي بأسرار ما يختلج في صدري ... أهمس  
له بأسرار الثلة التي تتكون من إخوتي ومعارفهم ... مال  
وجاه ... وسفريات إلى كل بلاد ترد أخبارها مشوقة ...  
وثياب من أحدث بيوت الأزياء ... وينطلق صوتي كأني  
أصيح ... هل تعرف أنت سر كل هذا ؟! أليس من حقي أن  
أحقق حلمي ؟ وأمشي وسط الشوارع مزهوا ... أسمع دوي  
انفجار في رأسي : أنت تحلم بالمستحيل ..؟!.

أجيب بأن الشيء غير الطبيعي يثير التساؤل  
والدهشة والاستغراب. وحاولت أن أعبر عن رغبتني ...  
فتحت فمي لأتكلم .. عاجلني الصديق : بماذا تفسر حديثك  
هذا ؟!.. هل تغار من ثراء إخوتك ؟ صرخت في وجهه : لقد

سمعت هذا أيضا في البيت فما المقصود ؟!!.. أجبني : تحرك  
يا أخي .. شوف حالك .. من يعرف أنه ليس كفوا لهذه الحياة  
عليه أن لا يعيشها .. خذ لك إجازة ، وسافر .. حاول أن  
تتحصل على بعض الأوراق تزيد في حجمك ، وترفع من  
قيمتك.

واستمر يسدي النصح بشكل هائل وهو يتلذذ بكل كلمة  
متألقة ... وأعتقد أنني قبلت كل الأوصاف الحميمة التي  
عرضها عليّ .. أردف : لو كنت أنا أنت لأصبحت الجرائد  
تحدث عن إنجازاتي .. « بزناس أند بزناس والدولار  
شغال!! »

حدقت في وجهه وغامرت بسؤال شبه خجول : وبماذا  
تشير ؟! ابتسم برقّة وثبت نظرتي في عيني : ارحل إلى  
حيث لا متاعب ولا ديون !!.

أظن أن أمي اعتادت الوحدة ... أمي الأبيّة ظننتها  
اعتادت الوحدة ، سمعتها تتوسل إلى أخي : إنني احتاجك  
إلى جانبي ...طمأنها بعودة عاجلة .. حمل حقائبه وسافر . ثم  
عاد ليأخذ زوجته وطفليه . وغاب ... صار وجه أمي يذبل .  
ثم صار حزينا ... انتشر أولادها في بلدان الخليج يغيبون  
سنوات . ثم يعودون لأيام قلائل.

صرت أخجل كلما تصرخ أمي في وجهي : أنت الفاشل  
الوحيد !!.

هي تعتقد أنني أستطيع أن أسافر ... و ... ولكني لا أريد أن أذهب بعيدا عنها. أحسّ بألم يخزني ، وهي تحضن إخوتي واحدا واحدا ، وهم يحزمون حقائبهم ويستعدّون من جديد للسفر. ولما يرحلون يذبل وجهها .. يرقّ عودها ، وتتعبّ .. أسمع قلبها يخفق ودموعها تنمو ، فاندفع أقبل يديها ، فتطوقني بذراعيها ، وهي تقول بصوت متهدّج :  
إنني أحتاجك إلى جانبي يا ولدي !

وأبي الهرم المتعب .. كلّ مطلع صباح يتذكّر شبابه الضائع ، فيناقِرُ زوجته ... لم يعد يستطيع احتمال البقاء في بيته ... هو أيضا يريد أن يسافر ... بلاد ربّي واسعة ... هو يريد أن يقيم في السعودية .. عاد منها وهو ذاهل عما يوصف ... لا حديث له إلاّ عن الخيرات « المبزعة » وهزّ ببلاش ... هو يقهقه بصوت عال كلما علا صوتي محتجّا على تطوّر المتطلبات اليومية ... ويعلّق : « الذّهب يستحيل إلى تراب في يدك ... يا خسارة تربيتي فيك !! طلعت بهيم ... كيف نشوف اولاد الناس نحزن على أولادي .. » أبي يهوى العقار ... والتراب ... ويريد أن يقيم بمكّة ... تلك هي أحلامه ومشاريعه .. ولكنها أحلام مستحيلة ... وأولاده ، يجتمعون مرّة كلّ عامين للتفاوض في أمر أحلامه ومشاريعه ... يحصل ذلك في جلستين في الجلسة الأولى يتهامسون ، ويتشاورون فيما يخصّهم .. وفي الجلسة الثانية يبلغونني أنهم اتفقوا على أن يعاونوا على رفع مستوى عيشنا ... وألزم الصمت وأنا أحاول الاحتماء من شعور المهانة ...

ويرحلون على أمل اللقاء في العام المقبل لتدارس  
موضوع الاعانة ، ويخلفون وراءهم أمى بوجه خزين ، وأبي  
بأوداج منتفخة يقول :

اخرج من داري يا بهيم ... وهو يعتبر نفسه أنه المحسن  
إليّ ... ودخان ... وأرق ... وعصبية تحيل إلى جحيم.. وألعن  
في سرّي نبط الخليج !!.

ما أوحش الليل !! كلما جثم الليل أغمض عيني بشدة ،  
وأهاجر ... أو أنزلق من سريري ... أتجه إلى النافذة ..

وأخاطب النجوم فتهمي بلمعان غامض يجعلني نهبا  
للهواجس والأفكار .

وحين تتجمع خيوط الشمس في غرفتي ، يتاح لي أن  
أظفر بالهدوء ، فأغمض عيني بشدة ، وأستدعي النوم  
فيأتي. ويصير دفء الفراش لذيذا فأغرق في قعر السرير  
وأنام ...

فوف ! فر ! فروم ! فش !.. وتهدر الحافلات ،  
والسيارات : « تشيك ... تشاك » وتنهال الأحذية على  
الطرق ، ويتعالى الضجيج ، ويرتفع النهار فأستقيظ وبني  
رغبة في أن أنام لمدة أطول.

انزلق من السرير ، وأهرع لأصفع وجهي بالماء البارد  
وعيناوي مغمضتان ، أحاول أن أفتح ما أحسبه عيني وألقي



بنظرة على ملامحي في المرأة . ويفاجئني الشحوب . أكاد  
أصرخ : هذا ليس أنا !! . ولكني أحاول أن أفتح عينيّ على  
أقصى اتساع . وأحملك ما استطعت في الوجه الذي أنكره .  
ويشرق الجبين ... أبتسم ... فجأة يعبس الوجه فأكشر ...

صرتُ موظفاً خبيراً بالقدر الذي أظهره من رضوخ ،  
وامتثال لأوامر المسؤول ، وما أكثر أوامر المسؤول !!  
تتحرك شفثاه ، وينطلق لسانه يورط ضميري . لا أذكر أنني  
استطعت أن أصمد أمام نظرات المسؤول أكثر من لحظات .  
نظراته تجردني من كل قرار ، لم أتوصل إلى اتخاذي إلا بعد  
مكابدة ليال عديدة أقضيها في جدال ومقارنات . يهجرني  
النوم ، وفكري يطرح الاحتمالات والتوقعات ... المسؤول هو  
المسؤول عن سير العمل ، وتلك وظيفته ، وتأقلمت مع أجواء  
العمل المناط بعهدتي ، وصارت لي أخلاق وسلوك العامل  
المرغوب فيه ... عامل مثالي !! عامل عيناه قطعتان من ليل  
بهيم يفرق فيهما سرّ الابتهاج ، يندثر فيهما وميض الغضب .  
عينان لا تعكسان سوى لون الليل . غامضتان . عامل له  
عواطف لا تجيش إلا متى يستوجب ذلك ، حين يكون واجبه  
أن يلهج بالشكر كلما عير بالفقر ... والفقر في عرف  
المؤسسة هو عنصر يرشح العامل لكل طارئة في المؤسسة ،  
لكل شاردة وكل واردة ، هو دائماً المتهم الأوحى بالتقاعس ،  
وانعدام الضمير .. و ...

في البدء كنت أثير شفقة المسؤول كلما حاولت أن

أفاته في الموضوع يتعلّق بالحياة المهنية الصرفة يقاطعني :  
« اصبر ، أشْ باشْ يعمل الواحد ، هكّه حبّ ربّي .. هيا ،  
برّه ، ربّي يعينك » ويتقهقر صوتي أمام تمنيات المسؤول  
بالمعونة الإلهية ، وفي البيت أعمد إلى بثّ همومي لامي  
حتى باتت كأنّها نشرة يومية لا تتوقف ، نشرة تستمر هادرة  
تشرح الملتبسات وتحلّل المستجدات على ضوء تصرف  
المسؤول وما يقول ولا يقول. وفي الصّباح أحاول أن أفتح ما  
أحسبه عيني .. والكسل يشلّ أطرافي عن القيام بأيّ حركة ،  
أحتاج إلى دقائق أخرى للتمكّن من أن أميز بين أمرين : أن  
أذهب إلى مركز العمل ، أو أعود لأغطّ في النوم من جديد .

وسنّ حاد يجرح عيني اللتين ما تزالان تؤمنان بأنه قد  
أنجذب لاغراء الصّور التي تتقدّم مرتسمة على المرآة في  
هندسة رائعة ، هندسة تقنعني بأن الانسان خلق كي يحبّ  
الأشياء والحياة . تلك المتاهة لا بدّ لي من أن أكتشف  
مجاهيلها ، وليس لديّ إلّا أن أضغط أكثر على زناد أفكار .  
يجب أن أستغل كل مواهبي ، أن أجند كل قواي ، جميع  
طاقاتي وأحدّد الهدف الذي يضمن لي ظروفًا أفضل. الموت  
هاجس لنّيم . كلّما جال بخاطري أغرق في صمت لأنّ الأمر  
يعني بساطة تفريطا بقيمة جهد أبذله ، إنّه لا مناص من  
مئات الأشياء التي قد تصيبني . ولكنّ الحياة هي أيّام لها  
مقاييسها ، وأنا أحسّ بانشداد خفيّ إلى شيء ما لا أعرفه  
تنزل دمعتان أشعر بهما تنزلقان فوق خدي. لا أكثرث ولكنّ

تكتسحني موجة حزن كلما ألمح أمي تحتضن وجهها وتوجل بكاءها وربما صرختها ، أسترجع عدسة عيني ، أسترجع كل ما حدثته. حتما ستأتي اللحظة التي أكفّ فيها عن عادة أن أنهض .. وأمشي ... و .. ولكن ليس الان ... ليس ثمة سبب محدد يدعوني إلى التفكير في الموت . ولكن كلما يمرّ الهاجس بخاطري أقفز كأرنب مذعورة ، وأجدني أحتاج إلى شرثرة رغم إيماني بعدم جدواها وتفاهتها . ولكن ينبغي علي أن أثرثر ، وأركض وأطوف الأزقة ، وألهث وراء أشياء تتأسس ، وأبحث بين أسرار البيوت عن ملاحظات دقيقة عن همسة هنا ، عن بسمه هناك ، عن نظرة قلقة ، عن التفافة وجلة ، وأنط في شرود ، وأشهب وأبعثر أعقاب السجائر والضحكات .. ولكن هل من جدوى ؟!

أسمع كل نبرة في كياني تتفجر في صمت ، وتنطق كالأنباء ، إنها الحياة .. وأكاد أطير ... كل لحظة آتية تمنحني سفرا. أمر بالمقهى المزدحم بالسعال ورائحة التبغ والبن الفائر ، يضع النادل فنجان القهوة تمتد ذراعي ، أذرع كثيرة ترتعش في تطرقها إلى الموائد.

أنسحب بهدوء ، أنتصب على الرصيف. أرقب الحافلة التي تثير شعور الفرح إذا أقبلت .. أقفز إلى داخلها ، أحملق في الوجوه دونما قصد.

اعتدت تناول الوجبات في مركز العمل ، فلا أعود إلى بيتي إلا لأندس في الفراش وأنسى كل المشاغل والمشاغب ،



أنسى حتى سطوع الشمس كأن الليل سيستمر إلى الأبد ..  
أنسى نفسي المتفسخة .. والوجبات الباردة ، أنسى أوامر  
المسؤول وتسلمته الدائم .. أنسى المراقب واحتدامه اللامبرر ،  
أنسى كل شيء عسى أن أجد متسعا في فراشي وأتمدّد كما  
يتمدّد الميت ، وأسكن حتّى يمرّ الفجر قرب نافذتي ، ويعلو  
صوت المؤذن منسرحا . حيّ على الصلاة يستيقظ إدراكي ..  
تستيقظ مشاعري ، يستيقظ فكري ، ويظلّ النعاس فوق  
أجفاني متكوّما ، أنثر أسئلة ، أجدني أكثر صمتا ورهبة .  
شيء ما يلوب في أغوار نفسي ... أسئلة عتيقة وخذلان يتكرّر ...

خطر لي مرّة أن أرفع صوتي بالقدر المطلوب ، وأردّ  
على قرارات المسؤول التي غالبا ما يتخذها حسب مزاجه ،  
وحسب السلوكيات واهتمامه الخاص بالأفراد ، لم يقدم  
المسؤول أية مكافأة بشكل مناسب ، أمّا حالات الاعتماد فهي  
إذا ساعدت على شيء فهو تفاقم المشاعر العدائية . غباؤه  
يفوق غباء أيّ غبيّ وحاجته للتوفير تكشف عن حالات دائمة  
تطلب الأمن لذاته ...

وأتابع الأمن ، أغالب موتي ، أسقط في مجرّة السلطان  
وأبايعه . ثمّ أهوي أبارك بخله ، أبارك شحّه ، وأثير جعجعة  
وغبارا في وجه زميل .. وحين أركن إلى بيتي ينعقد أمام  
ناظري ضباب ، ويهبّ صدا ، ويبدو - بيني وبين نفسي -  
حوار ، فأرعد وأضج أكرّر ما قيل وما قد قاله المسؤولون



الكبار والصغار. وعلى أضواء ما قالوا أكتشف الباب المؤدي للمكيده ، فأصرخ محتارا :

« أتراني بعث وريدي دون إرادة ؟! أو أراني محمولا على الاكتاف .. أذهب إلى أرض بعيدة ... ويتملكني ورع شديد ... حتى يرتفع المرء يملا حلقي !! » .

وبدأت أتنازل عن رفع أمري للمسؤول . يعني رضيت بأن أصمت فما الجدوى من دخول مكتبه . ولمكتبه رائحة خاصة ، رائحة تنفذ من كل قطعة أثاث ، من ملابسه ، من جسمه ، وتسيل غزيرة فوق السجاد الأزرق الذي يغطي أرض مكتبه ... وتتسلق الجدران .. وتتسلل خارجه منحدره مع المدرجة لتلتقي مع روائح الشارع ... رائحة تصدأ لها الروح بمجرد أن يتدفق معها صوته وهو يعالج ذهني بكلمات ويساومني على موقفني بالحروف . كل تصرف هو جنون أو أسوأ في عرف الإدارة. يقول المسؤول ، أو لا يقول ؛ فالذي لا يجب يصبح يجب . أما حين يقوم المسؤول بدورية تفقدية فتصبح اللغة المتداولة غمغمة مفعمة بالريبة والابتهالات السرية. وحين يرتفع صوته بالتوبيخ ، والتقريع يصير الحوار بكاء صامتا أو مفضوحا وندما و... خطايا العامل ما أكثرها ... وهفواته ذنوب وإذا هب مدافعا ، وصدح صوته فذلك إخلال بقانون الأخلاق الإدارية .. وتتناقل الألسنة اخباره ، وتمضي أشياء جميلة ، وتحل أشياء غامضة ، والخبر

ينتشر .. ويرتمي بين العمال ، وكل عامل له فهم ، وتحليل  
وتبرير ، كما لكل عامل أن يبهج مديره ، أن يسره لو حدث  
وشكره المسؤول ... ومن حق كل عامل أن يعلم المسؤول بما  
يدور من أمور ، والمدير المسؤول شغوف بتسقط الأخبار ،  
وأي كلام يمكن أن يمكنه من صفاء الذهن ، وإرساء قواعد  
مجدية تحكم سير العمل .. المهم هو أن يسير العمل ...  
والعمل يسير ...

وأبحث عن نظرية واحدة لم يتم تطبيقها لدفع سير  
العمل ، وأشرع أبحث عن نمط لحياة العامل. وأشتاق أن  
أعترف بما يدور في خلدي ، غير أن الاعتراف تجيء قبله  
التوقعات مثقلة باحتمالات شتى ، فأرتد قبل أن ألامس  
حدود الظلم والقسوة والطغيان. كما لا يمكن أن أستطيع  
إغواء زملائي ، ليس لي سوى الطموح وشيء قليل من  
قانون العرف والوقت يمضي بسرعة ، والمراقب لا يهمل ،  
أبداً أمراً ، حازماً ، عيناه تغليان خلجات الوجوه ...  
تستفسران ارتباك الخطوات ، وتدققان في العيون التي قد  
تتقاطع نظراتها بنظرته .. عيناه لا تستريحان ، تضيقان في  
شبه إغماضة ، وهما تتربصان بأي حركة يقوم بها العمال ...  
ترأران .. تدوران .. تلهبان الظهور المقوسة ، فتضطرب  
توقع الاحتمالات الفجائية في الرؤوس .. وتختلط الصور  
الفاجعة ، وتسري المهمات بين صفوف العمال « البلدية  
تدور .. البلدية تدور .. »

هناك يفرغ الانسان من محتواه ، يتجرّد إلى حدّ أن تبقى تلك الطاعة العمياء والمسكنة . ليس من قبيل الصّدق أن سمح لي بأن أحمل لقباً معيناً ... اقترفت ذنباً به . لما كنت طفلاً . في المدرسة .. كان ينبغي أن يؤدي الأمر بي إلى مجرّد عقوبة ، لكن القانون الصّارم أدّى إلى فصلي .. وتخلّيت نهائياً عن مقعدي في القسم لتلميذ آخر باستطاعته أن يستوعب الدروس بطريقة جادة ... وارتاح المعلّم من أسئلتني اللّحوة واستفساراتي اللّجوجة ومقاطعتي الدّائمة له ... كنت أحتاج إلى فهم كبير حتى أتمكّن من رسم صورة واضحة للمعلومات ، مخزون المعلومات يقودني غالباً إلى نتائج غير مرضيّة ... ووجدت نفسي مضطراً إلى أن أبين رأيي ، وأرفع الملابس ، أن أحلّل ، وأقارن ، وأن أقرع الدّليل بالدّليل وأقدّم النتائج التي وصلت إليها بعناد مستميت . وكانت الحصيلة : طردي بسبب تدهور الأخلاق .. كانت المدرسة تطالب بالتوقير ، والتقدير بالاحترام والاحلال ، وأصبت بمعلم لا يصيب ...

كان يجب أن أرغم على الاستيعاب بواسطة الضرب والتقريع ... وارغمت . وظل رأسي مختوما بالشّمع . وكان يجب أن أحقق الهدف الطبيعي حسب الشروط والقواعد التي يقوم عليها قانون المؤسسة . ولكنني استطعت أن أعلن أنني ضدّ كل الاجراءات المتعسّفة.

يومها فكّرت ملياً فيما إذا كان لي الحق في الخروج من



المؤسسة اثناء العمل .. بالنسبة إليّ كان الأمر يبدو لازما  
فأنا على موعد مع أحد الأصدقاء لترتيب بعض الشؤون التي  
لا تنتظر التأجيل . أبي الهرم متعب. وأمي صارت أكثر  
حزنا .. ويدي تشكون من فراغ الوطاب.

تقدّمت بيقين من مكتب المدير. كانت عيناه من رخام  
يتناسل فيهما ثلج ، وينبث منهما صقيع يدفع بي إلى خوض  
الظلام. قال مزمجرا : أنت تعرف أن الادارة لا يهتمها أحوالك  
الخاصة ... إذن ما هو مبرر خروجك أثناء وقت العمل ؟!

تلعثمت : التر ... قية .. هي ...

أرغى وأزبد ، وتطاير رذاذ بصاقه وهو يذرع غرفة  
مكتبه جيئة وذهابا : الترقية .. الترقية .. أنت لا تعرف  
كلاما آخر تقوله .. ومع ذلك تتهاون .. تتكاسل بل صرت  
تخدع الادارة . وتترك مكان العمل دون إذن منّي حتّى وإن  
طلبت الاذن فأنا لا أسمح لأحد من العمّال بالخروج أثناء وقت  
العمل. هل تعرف أن ذلك يخلّ بالانتاج ؟! ها .. ها .. الترقية  
وتريد ترقية . على ماذا أثيبك بترقية ؟ على طيشك ! على ...

وركض صوته ببوصلة قلبي. وسقطت مني الكلمات  
لاذعة. تساقطت كرشق الحجر . ثم غبت في الممر الطويل.  
وبقي وحده يشيع ظهري بعبارات التهديد والوعيد .

تراكمت الاستجابات .. تهاطلت الانذرات .. وتضخّم



حجم الملف ، أينما أكون لا تكتمل فرحة ولا يزدهر أمل .  
أظلم أفكر بما تأتي به الأحوال .. لعل وعسى .. وأقارع الضجر في  
ظل الحصار ..

الليل عالم خبيث ، والنهار وقت يهترئ ، وبين الحلم  
والحلم حلم يتهاوى ، أفضل أن أتعدّر بصابون الكلمات ،  
فأطخ الورق بالقلق. وتأتي الرسائل من الخليج وافرة  
الضجيج .. من كل الخلجان يهب الضجيج .. يهب الضجيج .  
تصل فواتير استهلاك الانارة ، واستغلال الماء تردفها فواتير  
الآداءات ... حسابات .. وحسابات .. أصوغها في شكل من  
أجل فهم جديد أقدر على استيعابه ...

هاجر ! قال صديقي ، لي ؟

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- إلى أين ؟!

- إلى حيث لا ديون ولا متاعب.

- أهرب من قدرتي ؟ .. من مواجهة المسؤول المتسلط ؟!

إلى أين ... وهنا جذوري .. وهذه بلادي.

في المساء أعمد إلى بث همومي لامي حتى أسمعها ترد  
: إنني أحتاجك إلى جانبي .. فأهدأ ، ثم أتسلل إلى غرفتي  
حيث تنفتح عيناى على عالم من ضوء يترقرق كالماء الشافي  
، ويتناهى إلى سمعي صوت يقول : أنت عملاق ، لكنك  
تختفي في ضوء الشمس .. أصرخ : أسفا ! أنا لا أعرف أنني  
بهذا الحجم.

## ما أوحش الليل ١٩

في الصّباح أريد أن أعلن للمسؤول ، أنّه ليس مسؤولاً  
مطلقاً عن تلقيني الكلمات التي يجب أن تزدان لمعانا ،  
فيتقبلها وهو يفتعل الابتسامة ، كيف أعلن له أن الحرية  
خطأ لفظي شائع ١٩.

أراه مرةً مجنوناً ، تفتّر شفّته عن أفكار لا تحوم سوى  
في رأسه ، وعيناه مغمضتان كمن يحلم ، ومرةً أراه يتحدث  
مع العمّال في لطف جدّ أبوي فيبدو وكأنه يهتمّ بما يخصّ  
مشاكلهم ، أو بأنّه يساعدهم مرشداً لمصالحهم .. يشرح ،  
ويعلن .. ويتحدّث عن القوانين الشرعيّة ... ويعدهم باتخاذ  
التدابير اللازمة وتقديم الملفات جاهزة للمسؤولين الكبار ...  
ويعدّهم جميعاً باصلاح وضعياتهم .. فيهاتفون ، ويتصايحون  
متفائلين ...

كم خطر لي أن أسأله إذا كانت السياسة هي بحث عن  
أنانيات وإذا كانت النقابة هي بحثاً عن تكريس الاستغلال  
وترسيخ الطاعة العمياء ... ولكنني مكثت صامتاً . أحرق في  
كل ما أراه ووجه أمي يطلّ ويغيب ، ذابلاً حزينا ، وصوتها  
يرتعش في خلالي متهدّجاً . إنني أحتاجك إلى جانبي يا بني ..

خديجة الجويني

مسعودة أبو بكر

## بائعة الحمص

« حمص يذوب من البخار !... »

فول كالزبدة !... يا من تريد أن تنمق كسكسي رأس  
العام (1)

خذي لك قرطاسا ...!...

ترقرق صوت أنثوي عبر الأزقة التي نشطت فيها  
الحركة يفتتح مهرجان الأصوات المتفاوتة في نبراتها  
ووقعها وهتافها يقلب سوق « باب الفلة ».

داخل سطلين من النيلون الأزرق ، راحت يدا الصبية  
بائعة الحمص تتسللان في رفق تداعبان الحبوب الصفراء  
الفاقة ... تخلخل أصابعها بين جموعها المتراسة فتنزلق  
الحبات من كفها ... تغريها نفس المداعبة مع حبات الفول  
السمرء ...

استشعرت فيضا من الحماس يندلق داخلها وهي  
محفوفة بسطليها وأوراق اللف ...

ترفع عينيها إلى مدخل السوق ... تلمع الزحام  
فيتصاعد هتافها ليتحد بخضم النداءات الأخرى ...

نفس جيرانها يستقبلون اليوم الجديد في نفس الإصرار  
والحماس ... بنفس الذراع التي لا تكل ... بذات النظرات  
التي لا تعرف الاطمئنان ... بنفس الملامح المفتقرة إلى  
الاكتفاء ... إلى الراحة...

- « القديدُ غدا .. والسّمك اليوم ... يا من ستزور  
أصهارك ، لك عندي هديّتهم ... سمك جيد ... سمك اليوم قد  
ترك بحره لأحضاني ... »

يجول بصر الصبيّة في زندي « مصطفى الحوأت »  
فتترأى لها السّمكات الحمراء والسّوداء تنطّ متمرّغة بين  
ذراعيه فترتسم ابتسامة خجولة على شفّتها .. ثمّ تشرّد  
بعيدا ...

كان في ما كان ... في سالف الزّمان فتاة فقيرة تحلم  
بجهاز عرس يهزّ القلوب ... عاد أبوها الصيّاد يوما بسمكة  
في طول ذراع ... « لن نبيع هذه السّمكة ، لنشبع منها  
ولنهد جيراننا قطعا من لحمها » وحين عالجتها الفتاة  
لتنظيفها وطهيها لمعت في بطنها ياقوتة كحبة فول ...  
أصبح بفضلها الصيّاد وابنته من الأثرياء ...

« ألا يحدث أن تحتوي سمكات « مصطفى الحوأت » على  
لؤلؤة أو ياقوتة يا ترى ؟! ... »



يشرحُ حلم الصبية عم الجيلاني شيخ الستين

« - خذ بخمسين !... خمسون مليما فقط سعر هذه  
الحزمة النضرة من البقدنوس ... تخالها حبقا !... »

يتواصل هتافه ... يتوقّف أحيانا ليردّ على التّحايا  
بأحسن منها ...

يعلو هتاف الصبية :

« حمّص ... فول يذوبان من البخار ... خذي لك  
قرطاسا يا سيّدتى ! » وتنشط أناملها في عقص أطراف  
الورق في أشكال لولبية تعبّئ بداخلها طلبات زبوناتها...

عن يمينها قام هرمٌ صغير أخضر قاعدته كيس قماش .

http://Archivebeta.Sakhril.com  
- نهارك سعيد يا عم الهاني !... ملوخية العادة !...

تربع عم الهاني في اجتهاد واضح لضيق المساحة ومرّر  
صفحتي كفيه على الدقيق الأخضر اللّون ... زوى حاجبيه  
وقد اتّسع ثقباً أنفه وبرز صدره إلى الأمام ثمّ أطلق صوتا  
مبحوحا ينغم هتافه في حماس :

- « ملوخية توزرية ... جارة الرّمان والعراجين »...

راحت الصبية تتأمّل صاحب الصّوت ... تتفرّس في  
ملامحه وما يستتر جسده ... معجبة بحركاته التي يتحدّى بها  
شيخوخته القاسية...

- « طوبى له من شيخ دؤوب ... يالجنة على الذكور  
الثلاث ألا يخلون من دأب وعلو همة هذا الشيخ الذي  
ينحني عند كيس الملوخية ... هم النيام لما بعد الظهر ...؟ »

عادوا البارحة في صخب هز الحارة الهاجعة ... سمعتهم  
يتمجنون مع رفقة من السكارى فغارت برأسها تحت الغطاء  
إلا أنها سرعان ما عادت لتحسره عن رأسها وأستوت فوق  
الحشية : « يا ساتر يا رب !.. هل سيميزون سطل الحمص  
من سطل الغسل ؟!... تباً لهم ... »

غدا قبل المضي إلى السوق ، يجب أن تغمس في الماء  
الساخن سراويل ثلاثة حتى إذا نهضت أمها وأهتممت  
بالغسيل دعكتها بالصابون ولسانها لا يكف لأعنا حظها  
والأولاد وكل من تزغرد لمولود ذكر...  
<http://Archive.bezels.com>

\* \* \*

يمتد جسر التحايا ... تتمازج ندأت الباعة تتخللها  
تعاليق شتى ... تعاليق تتناول كل شيء تتنفس عبره هموم  
الجميع ... وشكوى الجميع ...

السوق مكتظة هذا اليوم ... شيء من الاطمئنان ينداح  
على ملامح الوجوه الكائنة ...

- ما كل هذا الحمص يا ابنة أمك ، لو ظل ليوم الغد  
فسيفسد طعمه وتزفر رائحته ... فيعرض عنه الزبائن ؟!..-

سوف لن تبقى حبة ياعم الهاني ... بم سيزدان إذن كسكسي  
رأس العام ؟ ... أليس بالفل والحمص ! ... ستري بنفسك ..  
ربما عدنا بعد العصر وقد بعث كيس الملوخية بأكمله .. ونقذ  
ما في السطلين ! ..

- ربنا كريم يا ابنتي ! ..

تأملت بائعة الحمص هرم الدقيق الأخضر وقد وشأه  
صاحبه بقرني فلفل أحمر ... حلق خيالها إلى قدر أمها وقد  
استحال الدقيق الأخضر بداخله خليطا أسود لزجا . تتضوع  
منه رائحة زكية تسيل اللعاب ...

« أه لو يتسننى لأمى أن تلقي بالقدرة قطعاً من اللحم  
الخالص لأعظم فيها ... إنها تكتفي دوماً بقطع من فروة رأس  
بقر ... ! »  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« فيه الخير والبركة يا أولاد ... كله منفعة ... وفيه  
شبع لكم ... ثم هو لحم ... وكله من أصل واحد ... فلم  
التذمر ؟ ... ! »

كذلك كانت أمها تحسم الموقف إذ اما تذمر أحد الذكور  
الثلاثة من وجبات الطعام ...

تجذب الصبية زمام شرودها ، تعود في حالة استنفار :

- عم الهاني أنت ولي صالح ! ..

تكشف ابتسامة العجوز الفجئية عن فمه الأدر وهو  
يستوضح :

- كيف ذلك يا ابنتي ؟ ...

- إنك دائم الرضى ... لا تتذمر حاجة ... لسانك لا  
ينطق بغير الهدى والكلم الطيب ...

كثيرا ما أشتي أن أرفع حجاب الصمت عن صدري  
وأذمر أنا أيضا كما يفعل أبي ... كما يفعل الذكور الثلاثة  
ببيتنا ... كما تفعل أمي هي الأخرى ... إلا أنني أستحي كلما  
استشعرت صمتك وقناعتك ...

- الدنيا بخير يا صبيتي ... سيطرق ابن الحلال بابك  
وستتركين الحمص والفول وهذه السوق ومتاعبها ...

- قد أمسح دمة من على وجنة أمنا تذرفها قلقا بشأن  
الذكور الثلاثة الطلح ...

انحبس الكلام في حلقها فجأة ...

حلّ الشيخ حبوته وانتفض واقفا ...

انداحت حمى فجئية في أعضائها ... هبت هي الأخرى  
على قدميها ...

امتدت ذراعاها لتمسك بسطليها ... ولكن الأوان متأخر  
كيف لم أفتن لدخولهم السوق ...



كيف لم تتفطن يا عم الهاني ... كيف لم نستمع إلى  
الإشارة ... أترى يغفل الجميع ... غير معقول أن يغفل  
الجميع...

- ربّما امسكوا بولد الحوأت قبل أن يهتف بكلمة  
الإشارة ؟ ...

ولكننا غداة موسم ... ألا يريحوننا حتى في المواسم ؟ ...

رأت الحبوب الصفراء والسّمراء تنجذب بوعائنها ...  
رأت ميزان بائع الملوخية يرفع هو الآخر ومعه معايره ...  
وصناديق خضر وفاكهة ... علب زيت مستوردة ... علب تن ...  
تبغ ... قطع صابون لفافاتها أنيقة وجميلة ...

رأت أيادي طويلة الأصابع والأظافر تنقض على الأشياء  
في حلق ... تستلّها من مكانها ثم تلقي بها ... جميعها دون  
فرز في مؤخرة سيارة كبيرة الحكم ...

إنّها نفس السيارة التي يعمل لها الباعة الممنتصبون  
يومية بسوق باب الفلة ألف حساب ...

يترصدون قدومها من بعيد ... يتحدّأها بعضهم ويهاها  
البعض الآخر ... تدهم السّوق ولا تغادرها إلّا وفي جوفها  
غنائم مختلفة من السّلع المعروضة ... لذلك كانوا يضعون  
إشارة ينبّه بها بعضهم بعضا ... يطلقها أوّل بائع منتصب

بمدخل السُّوق ... وكثيرا ما ينشغل هذا بزبائنه أو يروح  
لقضاء شأن فيحدث الضرر بالبقية ... راحت الصبية  
تشرئب بعنقها بحثا عن سطليها بين كل البضاعة المحجوزة  
تلك التي لم يسارع أصحابها بللمتها وإخفائها إما في زقاق  
فرعي ضيق .. أو في سقيفة أقرب منزل أو وراء عربة  
رابضة حذو الجدار ...

كل تلك السلع التي تغنى بها أصحابها وتغزلوا قاصدين  
بها باب الرزق ... يستدر من احتبى خلفها أو ظلّ عندها  
واقفا ، نصيبه من الكسب ، راحت غنيمة في جوف السيارة .

- ألم ننذركم غير مرة بأن الانتصاب هنا محجّر !؟

- محجّر ... محجّر ... لا نظنكم تقولون غير ذلك ...  
لورحنا إلى الجحيم حتّى ! ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- محجّر ... محجّر ! ...

لو كنّا أخلينا هذا المكان ورتعت فيه القطط والكلاب  
السائبة ... وتراكمت المزابل في زواياه ... وتبول فيه  
السكاري ... أكنتهم تهجرون ذلك !؟ ...

تقترب الصبية من الشيخ المرتجف ... تحيطه بذراعاها  
تتأمل حاجبيه الكثين وشاربيه المرتعشين ... أحسّت كأنما  
تحضن قسبة منخورة عصفت بها الريح ... - ويلاه أخشى أن  
يموت بين يدي لو أستمرّ هكذا ... ارحموا هذا الشيخ ... على  
رسلك يا عم الهاني ...

- لو أن كيس الملوخية هذا يسمن ميزانية البلد لمددتم به ... خذوه ... خذوه هو أيضا ... هنيئا ... مريئا ... خذوا ما دام الأخذ سهلا ... لا يكلف كالعطاء...

بداية الصَّبَاح كانت تبدو مرضية ... فأني مارِد نفخ على هنانها بنار شره ياترى ...؟

تنجذب الأبصار لناحية «مصطفى الحوات» حيث علا الصَّخْب. كان ينتعل فردة حذائه الخشن في اليمينى وباليسرى راح يتحسَّس الفردة الثانية التي انفلتت منه بين نفايات الخضر وكومة البطيخ وهو يرعد غيظا...

عيناه جمرتان تتقدآن ... عند زاويتي فمه يبس ريقه فابيض كرغي الصَّابون ... في حين تصلبت شرايين عنقه وذراعيه حتى كادت تنجس دما ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

راح يدور على غير هدى ... يهوي على الصناديق المزروعة هنا وهناك بقبضة يده ... يهدج صوته سبابا ووعيدا ... يتفل وراء السيارة المتسللة بعنائمها خارج الزقاق.

- أبناء أَلْ.....

أما قدروا على غيرنا أم أن رأس الاقرع قريبة من السماء ...؟

إن ما نحتله من مساحة لعرض سلعنا لا يساوي ربع ما تحتله سياراتهم الرأبضة عند ناصيتي الشارع ... نحن نتعب

منذ شروق الشمس إلى مغيبها حتى يأكل زبنائنا خبزاً ...  
أغبطوننا الخبز ١٩٩! ...

- لا يغني الكلام في غير مقامه يا بني! ...

لنقص مقرر البلدية ونطالبها بإرجاع سلعنا وموازيننا  
ولم لا رخصاً نسترزق بها ...

- كلاً ... لن أستجديهم مرةً أخرى ... أنا ذاهب لأنهب  
سياراتهم عجلة عجلة ... وفانوساً فانوساً ... حتى البراغي  
لأفكّنها واحدة واحدة ... وأبيع الكلّ في أسواق سقط المتاع  
حتى أستعيد نظير ما أخذوا منّي ...!! ...

السوق تضيق ... تضيق بمن فيها ... بكلّ ما فيها ...

كذلك استشعرت الصبيّة الواقفة مع الواقفين ...  
اللاهثة مع اللاهثين ... الساخطة مع الساخطين ...

غضون مبكرة تشدّ ملامح وجهها الحزين ...

تطلّعت إلى الرجال ...

يتحفّز جمعهم للمضي إلى مقرر البلدية ...

يتشاحذون حماس بعضهم بعضاً ...

شدّت قبضتها تلوح بها في اتّحاه السيارة التي غابت  
عن الأبصار ...

- ما الذي سيصنعون بسطلي حمّص وفول ...



أتراهم يغبطونني في دينارين يدفئان جيوبي الخاوية  
تقياني شرَّ السَّؤال ؟ ...

أتراهم يغبطونني لو عرَّجت على سوق الأدبаш القديمة  
لأبتاع لي فستانا ؟ ...

تهالكت على أقرب صندوق ... تضرب بكفِّها على  
صدرها ... أما يزال الذكور نياما ؟... أيَّ نسمة من الرضى  
تأتيني منكم ؟ ...

أيَّ أياد بيضاء لكم تمسح شقائي المهدور ؟ ...

مورد رزقي الضئيل الذي تستنزفونه سجاثر وشفرات  
حلاقة ، يهرق أمام ناظري ... وأنتم تتكوّرون دون حياء تحت  
الأغطية !... ستظل قمصانكم دون ماء مبيّض ...

قارورة الماء المبيّض قد ارتفع ثمنها

كنت سأعود بها اليوم !... إلّا أن الحبوب اندلقت ...  
هناك ... بجوف سيّارتهم الملعونة ... سيرفسونها بأقدامهم ...

ستضطّر أمكم أيّها الملاعين أن تنشر قمصانكم دون  
مبيّض يعيد لها هويّة لونها...»

أين منها حماس الليلة الفائتة وهي تنقع الحمص  
والفول حتّى تكون الحبات منتفخة هشّة عند الصباح ...

لقد زوّدت الكميّة على غير مألوفها تحسّبا للطلب ...

شخصت في الرّجال عند مخرج السّوق ... يفرد كلّ

منهم قامة انهدّ كتفها تعبا ... وضمرّت عند الوسط ...  
ينفث كلّ في خطاه حماسا مرغما ...

وفي غضون الوجوه تحتدم ثورة وخذلان ... كانوا  
صامتين ... يشيعون جثمان أمل مصلوب ... وحده ، ظلّ  
«مصطفى الحوات» يهدر ...

من حوله تمازجت روائح الخضار والفاكهة برائحة لحم  
البقر والدجاج والسّمك .

وروائح البزار والمخلّلات بروائح البخور ... وعبر كل  
ذلك المزيج تسرّبت عفونة نفايات عند الزوايا الرطبة  
الدّاكنة ...

- عم الهاني انتظر !...  
نطّ الصبيّة تستوقف الشيخ وهو في ذيل موكب  
الوفد الذي غادر السّوق :  
<http://Archivebeta.Sakila.com>

- السّطلين يا عم الهاني !...  
حبّات الحمّص والفول قد اندلقت لا ريب في ذلك ، عدّ  
إليّ بالحاويتين ... إن هم أعادوا لكم الموازين إنهما من  
النيلون الأزرق ...

سأنقع الليلة نصيبا آخر من الحمص والفول !

مسعود أبو بكر

---

(1) رأس العام الهجري موسم ديني تحتفل به الأوساط التونسية بتهينة  
الكسكسي بالقديد لتوديع العام المنقوض وبطبق الملوخية لإستقبال العام الجديد  
حتّى تكون السنة خضراء .

## منمنمات على صدر طبيب يافح

بكت العجوز بكاء مسترسلا عندما أخبرها الطبيب الشاب أنها ستفادر المستشفى هذا اليوم.

كانت تبكي بصوت ضعيف واهن وصدرها اليابس يهتز وينخفض ، انزعج الطبيب لهذا البكاء المفاجئ ، فقد تعود منها الهدوء منذ دخولها المستشفى ، تقدم منها واضعا يده على كتفها وخاطبها قائلاً :

- ما بك يا خالة حدي ما الذي أزعجك ؟ أو تحزنين للعودة الى بيتك.

نظرت اليه العجوز نظرة بانسة ثم كفكت دمعها وقالت :

- أرجوك؛ يا ولدي !.. أرجوك أن تبقيني هنا فترة أخرى . أتوسل اليك أن لا تخرجني الآن.

وانفجرت ينابيع الدمع حرى تلهب خدّها الجاف .. وجم الطبيب ، ظل واقفا ينظر اليها مشدوها .. ثم جلس بقربها يهدئ من روعها رغم اهتزاز مشاعره حتى العنف قال :

- إنك بخير يا خالة ، ولم يعد وجودك ضروريا هنا. ولسوف أعطيك بعض الدواء لإكمال العلاج في بيتك.

ارتفع شهيقها. أمسكت به من كلتا يديه .. تقاطرت  
دموعها تبلل مידعته البيضاء .. كبّلته بنظراتها الخاضعة  
الكسيرة. انطلقت كلمات مبحوحة من فمها الأجوف تكسر  
طوق الحنان المرتجف بداخله :

- أتوسل إليك يا ولدي إنني ميتة لا محالة عما قريب..  
ماضرك لو تدعني أموت هنا .. إنني وحيدة وبيتني المقفر  
موحش كقبر ليس لي أبناء .. ليس لي أقارب . شيء فظيع  
فليتك ترحمني.

همس الطبيب : لا عليك يا خالة حدّي لن أفعل ما  
يزعجك.

ثم انسحب !  
جلس الطبيب الشاب . أمامه مكتبه . عليه دفاتر ..  
ملفات .. كشوفات المرضى وجهاز الهاتف .. رن الجرس ..  
رفع السماعة .. أزيز الأسلاك يصك أذنيه . لا أحد على الخط..  
أقفل الجهاز وأشغل سيجارة .. وحيد هو !.. الليل يتقدم  
والمرضة سعاد التي تشاركه نوبته الليلة ما تزال مشغولة  
بمرضاها .. شيء فظيع ومرهف .. أف !.. أف !! نطقها مرتين  
والثالثة همس بها في قلبه .. أف !!

الجرس يرن مرة أخرى والسيجار ينتحر ببطء بين  
شفتيه ..

وللمرة الثانية الخط يخلو من مجيب . تساءل عمّن



يكون مصدر هذا الإزعاج الذي يلاحقه منذ أيام .. رنين  
متتابع فأزيز ثم لا شيء سوى الفراغ.

مدّ يده نحو درج المكتب .. فتجّه وأخرج رقعة شطرنج  
ولفافة ورق اللعب « كارطة » خمّن أي اللعبتين يختار ،  
وسعاد الممرضة لم تأت بعد !.. أزعج بعض الدفاتر. خلط  
الأوراق .. رماها على المكتب ثم أعاد رقعة الشطرنج الى  
داخل الدرج .. بدأت الأوراق تتآكل .. بعضها يأكل بعضها ..  
وتجمعت كلها في قبضة يده ما عدا واحدة لم تطلّها أصول  
اللعبة .. أميرة ذات تاج ظلّت ترنو اليه برأسيها من أعلى  
فأسفل. تجهم منزعجا ، وجبين الذاكرة يتصدّع عن كلمات  
تسكنه ..

– العطاء بقدر ما هو ميزة عليا تصنع النجاح وتوصل  
الطموح فنشعر بالأمان هو أيضا منعرج خطير في تركيبة  
الإنسان قد ينسف بكل تلك المعطيات نحو الانحدار حتى  
موضع القدمين فإذا بنا لا شيء .. وعندئذ فقط تكتسب  
الأشياء لونها الحقيقي .. اشمازت نفسه فاختنق .. بعثر  
الأوراق ، ومزّق الأميرة ذات الرأسين . فقطعها إربا .. إربا  
زمجر لنفسه مرعوبا :

– مادمنّا نحارب فنحن موجودون !

ثم انسحب من غرفة المكتب ورنين الهاتف يخترق  
السكون.

عاد الطبيب الشاب الى بيته مرهقا ، منهوك القوى ..  
أسرعت زوجته اليه .. أخذت منه الحقيبة .. نزعته عنه  
السترة فالحذاء .. ثم ارتمى هلى السرير يفرق جسده في  
حشية الإسفنج اللينة ... قالت :

- أنت متعب !

أجاب :

- المرضى كثيرون هذا الصباح !...

فأنسحبت !

مدّ الطبيب يده يصافح الفتاة الماثلة أمامه .. طويلة  
كنخلة سمراء بلون القمح .. متجدية بشعر أسود كالظلام إذا  
استبد.

نزعته يدها وقد تعمّد أن يبقّيها لصق كفّه .. قال ، وهو  
يقرب لها الكرسي : اسف ، تفضلي بالجلوس .

رنت إليه وابتسامة عذرية ترتسم على شفثيها :

- هل تعتقد يا دكتور أن هذه العملية الجراحية سوف  
تجدي ، لقد يئست وفقدت كل إحساس بالأمل ، وسيان عندي  
الموت والحياة .. فكلاهما اكتسب طعم الآخر .

قال : - أنا أحتج على هذا الاختراق الفردي لاتفاقنا  
الثنائي ، ألم نتفق أن نغلق باب اليأس .. ونشطب على  
الأحكام المبتسرة والانفعالات الفجة .

ابتسمت له من جديد كما الحياة تأتي .. تتدفق ..  
تخسف بالاحتضار تقتل الموت .

- أجل يا دكتور أنا أقبل هذا الاحتجاج وأراجع عما  
أعلنت سلفا. ولكنني أسألك. رجاء أن تجيبني بصدق.  
أوما برأسه : واصلي..  
قالت :

- ما قيمتك كإنسان يحيا إذا عرفت .. بل إذا تيقنت  
أنه لا خيار أمامك إلا أن تقول نعم ولكل الأشياء .. أن تنطق  
بنعم عاليا وصوتك مفقود.

ذهل ..! اخترقته الفجيرة تقوؤ أعمدته الفكرية .. قد  
يعلم الإنسان أشياء كثيرة دون أن يعلم أنه يعلم .. هذه  
فرضية قرأها لأحد الفلاسفة فهل هي الحقيقة .. أو يعلم هو..  
أو تعلم هي .. ما نسبة الثابت والمتحول .. الغيبي والحياتي  
في أن معا .. وهذا الإنسان عالم مغلق .. دهليز .. نقطة آخر  
السطر .. ما هذا الارتجاف يداهمنا لا إراديا فيفسد كل  
مخططاتنا ولا يبقى سوى الدمار .. الموت .. الحياة بصوت  
مفقود..

همست اليه :

- دكتور الى أين الرحيل ..؟ عُدْ إليّ .. رأيت كم تأخذ  
مسافة التحول ؟ .. كم تأخذ من العمر ومن الأشياء لتحيل  
الألوان الى اللون الآخر وتعطي للإنسان البعد الآخر ؟

حاول أن يبتسم والمرأة تأبى أن تفارق أعماقه فخرجت  
الكلمات من فمه متقطعة .. مبتورة..

- سؤالك أخذني بعيدا .. فنحن جميعا بلا استثناء  
نحيا بصوت مفقود ... ومع ذلك فنحن نحيا ..! تتداولنا

إرهاصات التعب وومضات الفرح .. فنسافر وراء المجهول  
بحثاً عن شيء ما قد لا ندركه أبداً. ولكن ما علينا إلا أن نقبل  
بأصول اللعبة كي لا نخسر أكثر.. ونفقد القدرة على العطاء.  
قالت :

- العطاء يا صديقي بقدر ما هو ميزة عليا تصنع  
النجاح وتوصل الطموح فنشعر بالأمان .. هو أيضا منعرج  
خطير في تركيبة الإنسان قد ينسف بكل المعطيات نحو  
الانحدار حتى موضع القدمين .. فإذا بنا لا شيء. وعندئذ  
فقط تكتسب الأشياء لونها الحقيقي . سأحاول ، يا دكتور ،  
أن أعطي لنفسي فسحة أمل أكبر وعزائي في أن كثيرين  
مثلي قد هدّ المرض قواهم وأفقدتهم معنى الوجود .. أنا أسفة  
على تعطيلي اياك بهذين مريضة أفسدت العلة فكرتها.

أحسّ بعاطفة قوية نحوها. هي مزيج من الشفقة  
والشعور بالمسؤولية إزاء صديقة يكن لها أصدق المشاعر  
فمرضها خطير والرسومات الأخيرة للقلب . تستدعي أن  
تجرى لها عملية جراحية عاجلة.

مدّ إليها استمارة التوجيه الى مركز جراحة القلب  
بالعاصمة وضغط على يدها مشجعا :  
- أرجوك أن تتفاء لي . وان شاء الله تعودين إلينا  
بالسلامة.

حليمة مصباح



يوسف عبد العاطي

## الزعم

« وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة. »  
هذا ما أعلن في بلدتنا أنف العفة بعد أن أصبح  
الوشواش زعيما.

لقد تغيرنا جميعا. صارت عفتنا في اسمنا وليس في  
عملنا. العفة عندنا تعريف لانف بلدتنا. بل حتى الانف لم  
تعد له أية صلة بجذع جدتنا لانفها . والكلاب تركزت في  
جميع الطرق المؤدية الى أنف العفة.  
الوشواش أصبح زعيم بلدتنا «أنف العفة». فهو الذي  
حقن دماء كثيرة كانت ستسيل على تراب أنف العفة

هكذا أصبح الناس يتحدثون في بلدتنا «أنف العفة»  
تماما كما قال الوشواش زعيم بلدتنا أو زوج زهرة بنت  
وحيدة الهجالة كما يحلو لنا أن نناديه . بل أردف ذات مرة :  
سنقيم احتفالا سنويا نحى فيه ذكرى وفاة ناجي العسل  
تخليدا منا لتضحياته الجسيمة في سبيل «أبناء أنف  
العفة» . وقد كان رد الفعل بالتصفيق.

ما حدث في أنف العفة فضح فينا عدة أمور كنا  
نجهلها . لقد تشعبت نفسياتنا. لم نعد ذلك الفرد الذي لا

يرضخ لاي أحد. صار فينا من يحني رأسه من أجل غاياته  
الانتهازيون كثروا. المصالح الشخصية أعمت قلوبنا. فهل  
هذه «أنف العفة» ؟

أنف العفة للأقوى. أنف العفة أبقى.

هذا ما أصبح يعتصر في ذهني حتى صرت أشعر  
بصداع دائم. الكلمات على الورق حروف متناثرة. قد لا  
تعني الا ترصيفا للحروف. لكن اعتصار هذه الحروف في  
الذهن يحدث صداعا في الرأس. ربما يكون هذا الكلام هذيانا  
وربما يكون معادلة علمية لا نقاش حولها. لكن الصداع  
يؤلمني وزهرة ابنة وحيدة الهجالة ترفض العودة الى  
زوجها.

احتمينا ببعض الأماكن المهجورة للاختفاء. لكن  
الوشواش وأنصاره ضيقوا علينا الخناق. وخوفا من الوقوع  
في شراكم فكرنا في الهجرة. أو لنقل التسلل الى بعض  
المناطق المجاورة لبلدتنا أنف العفة علنا نجد هناك من  
يحمينا أو لعلنا نلتقي بمن ينصرنا على الوشواش.

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة».

عند استماعنا لهذه الوصية تغيرت لدينا كل الامور  
التي فكرنا فيها. صرنا نفكر في كيفية تطبيق هذه الوصية  
شعرنا أنها أمانة في عنقنا. لم نكن نظن أبدا أننا في درجة  
من السلبية تدفعنا الى التفكير في الهجرة. فأين هي أنف  
العفة التي تحيانا من أجل أن نحياها ؟ أنا والعالمين سواء

بسواء سلبيون صفقوا لكن رأوا أنه خدم مصلحتهم.  
وسلبيون فكروا في الهجرة بحثا عن الامان لهم.  
رجل كالف وألف كاف.

انه مثل شعبي كثيرا ما سمعناه من أفواه أجدادنا  
وكثيرا أيضا ما ردّدناه، بعدهم دون أن نفكر مرة واحدة في  
أسباب قوله. لكن الوصية التي سمعناها تتردد على ألسنة  
الناس جعلتنا نفكر كثيرا في هذا المثل. فلا يكفي أن نعيش  
في أنف العفة حتى نكون منها. أنف العفة أعظم من ذلك  
وأكبر. إنها نحن تحياننا كما تريد هي و لا نحيا فيها.

«وصيتي لكم أن تفصلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة  
حتى بعد مماتي».

تلك وصية ناجي العسل الى أبناء « أنف العفة »  
فهل نحن قادرون على تنفيذها ؟

عدلت عن التفكير في الهجرة. وأيضا لم أوفق في  
الوصول الى طريقة تحميني من الوشواش. فأنا في نظر  
الجميع قد هربت بزوجة الوشواش. وهذا أمر لم نألفه من  
قبل. والذي يزيد الامر تعقيدا هو معرفة الناس لحكايتي مع  
زهرة بنت وحيدة الهجالة. الأكيد أنهم يتحدثون عن ذلك. بل  
ربما أضافوا إليها حكايات من عندهم فنحن لم نعد نأمن ما  
يقولون في أنف العفة.

قالت - لست خائفة من أحد وزعيمهم لا يتزعمني

قلت - اننا لا نخافه بل نخشى المواجهة معه قبل لم شتاتنا  
قالت - حجة الاقناع في موقفنا، معرفتنا لاكاذيبهم  
قلت - المعرفة تقتلنا و أنف العفة أقوى  
قالت - سأنفذ الوصية مهما كلفني الأمر  
قلت - هذه ليست شجاعة. إنها تهور.

نظرت الي بعينين فيهما أكثر من سؤال . كنت  
متأكدا من غضبها الشديد على الوشواش. فهي زوجته  
وتعرفه أكثر مني لكنني أيضا مطلع على ما يجري في  
أنف العفة بفضل الاخبار التي تصلني عنها من حسين نادل  
المقهى.

لقد تغيرت عدة أمور في أنف العفة بل تغيرت أنف  
العفة نفسها وأصبح جميع من فيها يناصر الوشواش بسبب  
ما يحكيه عنا. فزوجه زهرة بنت وحيدة الهجالة زانية  
وخائنة وهي لذلك تضربه أمام الناس. كانت تريد قلب  
الحقائق بعد اكتشاف خيانتها. وهما لذلك قد هربا. فهل هذه  
الامور من عادات أبناء العفة ؟ كلا وألف كلا.

ووجدنا أنفسنا عاجزين عن الدفاع. من سيصدق ما  
نقوله بعد هذا الكلام ؟ وكيف سنرد على هذا الكلام ؟ الكلاب  
تحرس جميع الطرق المؤدية الى «أنف العفة» والوشواش  
يحرس الطرق المؤدية الى قلوب الناس. فماذا بقي لنا ؟

«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة  
حتى بعد مماتي ودفن جثتي».



وجدتني أعيد بيني وبين نفسي كلمات هذه الوصية  
لناجي العسل علني أحصل على جواب شاف لمعناها. فلماذا  
أوصانا ناجي العسل بذلك ؟ ولماذا أوصانا بهذا الامر الذى لم  
نألفه في حياتنا ؟ هل يريد أن يكون غريبا عنا في تصرفاته  
حتى بعد مماته ؟

أسئلة كثيرة خامرتني وأنا أفكر في كيفية تنفيذ هذه  
الوصية . وربما أيضا لشعورى بالخوف وأنا مختبئ من  
الوشواش. لست أدري السبب بالتحديد اكنني أشعر بقوة  
خفية تدفعني نحو المواجهة. الاكيد أنها ليست كلمات زهرة  
بنت وحيدة الهجالة فأنا على دراية بسبب تهورها. بل ربما  
ينقلب كل هذا الحقد الذى يسكنها الى انهيار مفاجئ  
فتسكنها السلبية في أول مواجهة وصادم مع الواقع. لكن  
الامر عندي مخالف فأنا المسؤول الاول عما حدث لها وعليّ  
أن أفي بوصية ناجي العسل.

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

لست أدري ما الذى يجب علي أن أفعله لكنني مصر  
على المواجهة. كما أنني مصر على العودة الى الظهور كلفني  
الامر ما كلفني فكيف ستكون بداية اللقاء مع أنف العفة بعد  
أن أصبح جميع من فيها مناصرين للوشواش ؟  
«وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة  
حتى بعد مماتي ودفن جثتي تحت التراب».

لقد عاش ناجي العسل طوال حياته براحا في البلدة.  
يذكرنا بما علينا وينذرنا بالموت فمن سيقوم مقامه ياترى  
بل من سيكون براحا في البلدة بعد موت ناجي العسل ؟

أصبحت كثرة الاسئلة تسبب لي زحمة كبيرة في  
أفكاري حتى صار الصداق لا يفارقني. لم أعد أستطيع تحديد  
ما يجب على القيام به أولا. لقد فقدت القدرة على ترتيب  
الاجوبة لجميع هذه الاسئلة. بل لعلي فقدت القدرة على  
ترتيب الاجابة أصلا عن هذه الاسئلة. انها أسئلة تزدهم في  
رأسي والذي أعرفه هو أنه لا بد علي من تطبيق ما أوصى به  
ناجي العسل. أما كيف سيكون ذلك فهذا ما لم أستطع  
الاجابة عنه.

إنني أنتظر .....

ضربتني بمرفقها أولا ثم ضغطت على كتفي وهي  
تحتمي ورائي وتقول بصوت متقطع فيه الكثير من الشعور  
بالخوف :

- أنظر هنا لا... هـ... ناك... من... هو... قاد...م...الينا....

وجدتني أوجه كامل حواسي نحو ما أشارت اليه.  
امحت من مخيلتي جميع الاسئلة التي كانت تشغلني.  
ذهبت جميعها مع الارتجافة الاولى لزهرة بنت وحيدة  
الهجالة . هل تراني خفت عليها أم خفت على نفسي منها. أم  
خفت على المواجهة دون تخطيط. المهم أن الخوف هو الذي  
أزاح كل ما في مخيلتي من أسئلة.

لم أتبين ما أشارت اليه فركزت نظري أكثر. أيضا لم  
ألاحظ ما يثير الفزع لكن زاد خوفي أكثر فالأكيد أن هناك ما  
أخاف زهرة. لذلك علي أن أعرفه. هل يكون الوشواش قد

تفطن لمخبئنا. لو حدث هذا فستكون المواجهة عنيفة جدا. فلن  
أفرط في حقي بعد اليوم سأدافع عن حقي في الانتماء الى  
أنف العفة كلفني الأمر ما كلفني.

وجدتن أشعر بنخوة أبعدت عني مخاوفي . أتمنى أن  
يكون الامر كذلك. سألقنه درسا في الزعامة لن ينساه طوال  
حياته. فأين اختبأ ؟ أين اختبأت يا جبان ؟

أجلت النظر يمينا وشمالا حتى رأيت شبح إنسان. إنه  
هو. الوشواش زعيم بلدتنا أنف العفة. سأقتص منه لأنف  
العفة. سأقتص لنفسي منه. سأخلص زهرة بنت وحيدة  
الهجالة منه. أحسن صنيعا حين أتانا وحده. سأقتص لناجي  
العسل وأنفذ وصيته. لكن لا بد لي من التثبيت جيدا. فربما  
يكون قد تقدم وحده ليخدعنا ويتركنا نخرج له دون مقاومة.  
مكره كبير لكن حيلته هذه المرة لن تنطلي علي.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نعم . نعم. إنه يتقدم نحونا. وكلما تقدم أكثر الا  
وتمعنت ملامحه أحسن حتى تعرفت عليه جيدا. وشعرت  
براحة كبيرة تعتريني. لقد كنت أوهم نفسي بشجاعة  
مزيفة. الخوف كان سيقتلني وأنا أظهار بالشجاعة.

ربت على كتفي زهرة وأنا أواصل كذبة التظاهر  
بالشجاعة ثم قلت لها محاولا تهدئة نفسي أولا بتوجيه  
اللوم اليها:

- لا تخافي، فالقادم نحونا هو «الطرطور» ولا نظنه  
أبدا يفكر في ايدائنا.



تنفست زهرة بقوة حتى جعلت الطرطور يتفطن لوجودنا ويقف مكانه ينظر إلينا باندهاش كبير. ربما لم يفكر أنه سيجدنا في مثل هذا المكان. أو لم يفكر أن هناك في أنف العفة من له دراية بهذا المكان. أو ربما كانت هناك أسباب أخرى جعلته يندهش. فالطرطور ليس من أولئك المخلوقات العادية. طقوسه في الحياة تختلف عن طقوسنا. لكننا رغم كل ذلك نعشقه. جميع أبناء أنف العفة يحبونه. فقد كان يظهر دائما ليحكي لنا. لذلك نحن لا نخافه الآن. لكن صمته الطويل ودهشته أمامنا جعلنا نشعر بقليل من الرهبة. بل جعلني أشعر برهبة منه. ولست أدري ما الذي شعرت به زهرة. المهم أنني أصبحت أشعر بقدسية المكان الذي نحن فيه.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

«الحب دستور الفقراء ..... الحب دستور الفقراء... وأيضاً لأصحاب الذهب...» ذاك ما قاله الطرطور ثم جلس بجانبنا. خيم على المكان صمت أشعروني برهبة أكبر، وخوفاً من استفحال ذاك الشعور في اتجاهتي إلى الطرطور بالحديث: -لقد صرنا لاجئين بعد أن أصبح الوشواش الغريب عن أنفة العفة زعيماً فيها.

نظر إليّ الطرطور ولم يجبني. انتظرت برهة من الزمن. أيضاً لم يجبني. بعد ذلك نظر إليّ ثانية فظننت أنه سيجيبني. لكنه لم يفعل. طال صمته فعادوني الشعور بالرهبة. لكنه أيضاً لم يجبني



وقطعت صمتنا زهرة فعاودني الشعور بالاطمئنان :  
- إنه ماكر وداهية . استغل طيبتنا وكيف الاحداث  
حسب مزاجه . فصار هو زعيما ورماني بالخيانة والزنى .

لم يجب الطرطور . بل رفع نظره الى أعلى وكأنه  
يستنكر ما سمع . ثم نظر الينا طويلا حتى ظننت أنه  
سيتحدث بعدها . لكنه اكتفى بتهيدة عميقة وصمت .

لم أستطع فهم ما يدور في خاطره . لكن الاكيد أن أسئلة  
عديدة تختلج داخله . فلامح وجهه تدل على اهتمام كبير بما  
نقول . ومع ذلك فهو مصر على عدم اجابتنا . ولست أدري  
سببا لذلك ولا أنا فهمته أيضا . المهم أنه لم يجبنا . بل تعدى  
ذلك . فقد شمر عن ثيابه ثم خلع نعليه واتجه نحو البئر  
يتوضأ وبعد ذلك ولى وجهه شطر المسجد الحرام وأذن للصلاة  
بصوته الجهورى المعهود ثم أقام الصلاة فلم نجد بداً من  
الصلاة وراءه .

بعد الفراغ من الصلاة نهضنا نحن من أماكننا بينما  
بقي الطرطور مكانه مدة طويلة و بقيت مع زهرة وكل واحد  
منا ينظر الى الآخر دون أن نعرف ما يجب علينا فعله . فقد  
طالت فترة الصمت وعادت معها تلك الاسئلة التي امحت  
من مخيلتي . وعاد معها شعورى بالصداغ .

هذا الطرطور ينظر الينا دون أن ينبس ببنت شفة .  
وهذا ناجي العسل يوصينا بأن نغسله كل يوم جمعة قبل  
الصلاة حتى بعد مماته ودفن جثته تحت التراب . وهذا

الوشواش يصبح زعيما لبلدتنا أنف العفة وهو الغريب عنها. جاءنا غريبا وبعد أن تزوج منا أصبح زعيم بلدتنا. وهذا أنا هارب. بعد أن شوه سمعتي واتهمني بالزنى مع زوجته. أقصد مع زهرة بنت وحيدة الهجالة. وهي الوحيدة التي وجدتني الى جانبي في هذه المحنة العصيبة الى جانب حسين نادل المقهى الذى هو معنا لكنه لا يلزمنا دائما بحكم الضرورة. انه عيننا التي نرى بها بلدتنا أنف العفة بعد أن صرنا لاجئين. لكنني مصر على المواجهة من أجل حياة أنف العفة كلفني الأمر ما كلفني. لذلك أجدني شديد اللفة للاستماع الى الطرطور. فرأيه يهمني، لأنه كان ولا يزال يحكيها.

ازدحمت الاسئلة مرة أخرى في ذهني. وأصابني الصداع مرة أخرى دون الوصول الى جواب شاف عليها فالاكيد أن من يريد المواجهة لا يبحث عن مبررات. لكنني متيقن أن اليد لا تصفق وحدها.  
«رجل كآلف وألف كآف»

وجدتني أتذكر هذا المثل ثانياً. واجتاحني شعور بالاحباط ثانية وبصورة أقوى من الأولى. فشتان بيني وبين ناجي العسل. ناجي العسل عاش طوال حياته دون أن يرضخ للأمر الواقع. ورفض دخول الآلات الى أرضه وقلع أرضه بساعديه. ولما أرادوا إجباره على الرضوخ الى الأمر الواقع سقى أرضه بدمه واستشهد.

ذلك هو ناجي العسل براح بلدتنا أنف العفة.

وتوجهت كل حواسي الى الطرطور وهو يهم بالقيام.  
فقد أتم الصلاة وفرغ من الدعاء. وتقدم نحونا بينما كانت  
دقات قلبي تتسارع. فلا بد أنه سيتحدث معي الان. وحديثه  
معي سيكون له وقع كبير على نفسي. لانني كنت ولا أزال  
أعطي أهمية كبيرة لما يقول. وهذا لا يعني أبدا أن جميع  
أبناء أنف العفة يولون اهتماما كبيرا لما ينطق به الطرطور  
لأن هناك من يعتبره معتوها وهناك من يعتبر الطرطور  
مثلا من التقاليد التي يجب المحافظة عليها. لانه تراث  
بلدتنا ومظهر من مظاهر حضارتنا الجيدة، وهذا ما كان  
يردده الوشواش دائما على مسامعنا وكثيرا ما كان يقع في  
جدال كبير مع أبناء بلدتنا.

### الطرطور يحكي لنا لتكون أنف العفة.

هذا ما كنت أقوله دائما بعد الاستماع لما يقوله  
الطرطور لكن لا أحد كان يسمعني. بل لا أحد كان يفهم ما  
أقول. وفي أحسن الاحوال كان يجيبني صالح المقتول مثلا  
بقوله :

« حتما ستكون نهايتك طرطورا في أنف العفة ».

ومثل هذا الكلام كان يخرسني. وكلام الطرطور لا  
يبارح صدري. لكن أنف العفة تغيرت كثيرا. كان ذلك منذ  
زمن بعيد. منذ رفضت وحيدة الهجالة تزويجي ابنتها  
زهرة. وتحديدًا منذ وصول الوشواش الى أنف العفة .

كان ذلك منذ زمن بعيد. منذ زمن بعيد جدا حصل ذلك.

حدث ذلك في غابر الازمان. دخل الوشواش الى أنف العفة دون أن نعيير اهتماما لذلك . لكن زواجه من زهرة ابنة وحيدة حول انظارنا إليه فأصبحنا نستمع الى ما يقوله. ثم صرنا نطبق نصائحه. وبعد ذلك طبقنا جميع ما كان يأمرنا به.

هكذا جاءنا الوشواش. وزعيم بلدتنا أنف العفة هو الوشواش.

جلس الطرطور الى جانبي وهو يتفحصنا بعينيه ثم قال: الآن نبدأ رحلتنا مع الحكايات ، وقبل أن يسألني أي واحد منكما سأروي لكما قصتي مع بلدتنا أنف العفة. أقصد سأحكي لكما قصة أنف العفة مع الطرطور. فأنف العفة تغيرت منذ زمان.

كان ذلك منذ زمن بعيد. منذ زمن بعيد جدا حصل ذلك. حدث ذلك في غابر الازمان. كانت أنف العفة بلدة وليست ككل البلدان. الشهامة مبدؤها والكرامة دستورها لكن الامور تغيرت كثيرا. تغيرت بسرعة جعلتني أتساءل : حقا هل هذه هي بلدتنا أنف العفة ؟

وجدتني مدفوعا إلى سؤاله :

- لكنك لست كبير السن. فكيف تتحدث عن أنف العفة وتقول عنها كان ذلك منذ زمن بعيد. منذ زمن بعيد جدا حصل ذلك. حدث ذلك في غابر الازمان . وكأنك عشت أنف العفة منذ تأسيسها وحتى اليوم.



- تلك هي أنف العفة التي أحياها. أنف العفة التي  
 تحياني أذوب فيها. فزمني لا يقاس بتقويمهم. لان أنف العفة  
 اختزلتني في لحظة فصرت طرطورا أحياها.  
 - لكننا نختزل المعرفة ولا يمكننا اختزال الحياة.  
 - سمني معرفة اذن وانظر هل يمكن أن تصنع بي أنف العفة.  
 في تلك اللحظة قالت زهرة :  
 - وهل كان ذلك قبل جدع جدتنا لانفها أم بعد ذلك بكثير؟  
 - حياة البشر تعاد دائما وفي كل حين. وقد جدع ناجي  
 العسل مثلا أنفه من جديد فهل ستكون أنف العفة لنا أم  
 سنخسر العفة ونفقد الوصية.  
 - لكن ناجي العسل قتل ولم يجدع أنفه.

نظر اليها ولم ينطق بحرف. وسبحت في ما ذكره فلم  
 أفهم الا القليل. لكن الثابت الذي لا مفر منه أن أنف العفة  
 قد تغيرت منذ زمن بعيد منذ زمن بعيد حصل ذلك.  
 وسيحصل مثل ذلك في المستقبل البعيد. والمستقبل البعيد  
 جدا سيحصل فيه تغير كبير لبلدتنا أنف العفة. فأنف العفة  
 اختزلتنا في لحظة قصيرة لكنها الزمن يحيانا لتكون أنف  
 العفة.

بعد صمت طويل نهض الطرطور من مكانه واتجه  
 يراقب الطريق ثم عاد الينا بعد ذلك وجلس ثانية مكانه ثم  
 قال :

- هل تريدان مني أن أحكي نفسي أم أحكيكم.

.....

نظرت الى زهرة متعجبا من سؤاله. فوجدتها تنظر

الي مستفسرة عما قاله. ثم نظرنا الى الطرطور مستغربين لما قاله. لم نلاحظ عليه أية علامة من علامات الدهشة. بل كان ينظر الينا وكأن ما قاله ليس فيه ما يدعو الى الاستغراب. ولما طال صمتنا أعاد علينا قوله :

- هل تريدان مني أن أحكي نفسي أم أحكيكم ؟

..... -

لم نعرف ماذا نقول ؛ لان ما يشغلنا هو وضعنا كلاجئين في أنف العفة. أنف العفة التي عشناها ليصبح الوشواش زعيما فيها. فماذا يريدنا أن نقول له ؟ هل يطلب منا أن نحكي خرافات قديمة نمضي بها ساعات الليل ؟ هل يريد منا أن نحكي عن أمور ثانوية حتى نأنس إليه ويهدأ بالنا ؟

نحن في حاجة ماسة الى اثبات حقنا في الوجود في أنف العفة بعد أن صار الوشواش زعيما فيها. فأنف العفة أبقى. ووجود الوشواش زعيما فيها يعني الفناء لأنف العفة. وناجي العسل لم يقتل من أجل ذلك أبدا. ناجي العسل لم يستشهد من أجل اقامة ذكرى سنوية لوفاته. ناجي العسل براح بلدتنا أنف العفة لم يميت من أجل ذلك أبدا . ناجي ..... - وقطع علي حبل أفكارى صوت الطرطور

وهو يصل الى أذني:

- اذن سأحكيها جميعا وعلى الدنيا السلام

..... -

وزاد استغرابي مما ينطق به. فما هذا الذي يقوله ؟

صحيح أن الطرطور كان دوما غريب النطق. لكنني كنت سرعان ان أفهم مقاصده. أما الآن فانني لم أفهم القصد مما ينطق به فما معنى أنه سيحكينا جميعا.

ربما يريد أن يحدثنا عن حكاية حبنا التي قطعها بيننا الوشواش. بل من الممكن أنه يريد أن يحكي لنا قصة قدوم الوشواش الى بلدتنا أنف العفة. فالطرطور يريد أن يوضح سبب التغير الحاصل في أنف العفة. وأنا متأكد أن أنف العفة قد تغيرت الى درجة الذوبان منذ حلول الوشواش بيننا. فقد كنا نحي حياتنا لنا فقط. وبقدوم الوشواش صارت حياتنا لأقوام أخرى لا يعرفها الا الوشواش. بقدوم الوشواش سرى « فينا داء الوشاية. وأصبح كل ما يحدث في أنف العفة يعلم به البعيد والقريب.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والطرطور سيحكينا بقدوم الوشواش الى أنف العفة. أو ربما سيحكينا الطرطور بناجي العسل وحكاية رفضه لالات «الثورة». ربما يكون ذلك أيضا. فهذه المواقف تحكينا جميعا. أو ربما يريد الطرطور أن يعرج على حكاية دفن جثة «مبروك الحفيان» خارج أرض أنف العفة. فكل هذه الحكايات تحكينا وتحكي أنف العفة فينا. لان بلدتنا أنف العفة ليست مكانا جغرافيا نحيا على أرضه. بل هي مكان في صدورنا نحياه. وربما يريد الطرطور اختزال كل ذلك بحكاية وصية ناجي العسل لنا. فمحتواها لم نتعوده وتطبيقها أمر لا نستطيع البت فيه قبل معرفة أسبابه

والغايات المرجوة من تنفيذه.

فهل نحن قادرون على تنفيذ ما جاء في وصية ناجي  
العسل لنا ؟

ووجدتني أعيد في نفسي كلمات الوصية وكلي تشوق  
الى تنفيذها علني أحصل على بعض الاجوبة للأسئلة التي  
تسبب لي ألما في الرأس. فالوصية فعلا وليست كلمات.  
ذاك هو ناجي العسل براح بلدتنا « أنف العفة».  
« وصيتي لكم أن تغسلوني كل يوم جمعة قبل الصلاة  
حتى بعد معاتي ودفن جثتي تحت التراب».

هل نحن قادرون على الوفاء لوصية ناجي العسل لنا ؟  
أم ترى الوشواش قد أحكم غلق عقول أبناء بلدتنا أنف  
العفة. هل سيتنكر أبناء بلدتنا أنف العفة لوصية ناجي  
العسل أم ستكون نهاية الوشواش وتنفذ الوصية ؟

فهل ترانا منازلنا في حاجة للاستماع الى ما سيحكيه  
«الطرطور» حتى نقرر ما يجب علينا فعله بعد ذلك ؟

يوسف عبد العاطي



## رواية (1) على أرصفة الإهتواء

...وأذكر درس التاريخ ومعلمنا العبوس ... ما حيرني  
وأصدقائي الصغار أنّ معلّمي كان يشرح الدّروس وهو  
غاضب ... يمرّ بالمسطرة على الخارطة الكبيرة المشدودة إلى  
مسمارين على السّبورة ويقول في وجع تكسوه ابتسامة  
تائهة.

. من هنا إلى هناك ... ويمرّ بجسده الموهن على الأرض  
المترامية ... كلّ هذه المساحة الشّاسعة كانت أرضاً واحدة ...  
ممتدة بلا غيوم يكلّها قوس قزح ... نعم يا أطفال ...

. هل تعرفون القصّ ...؟! القصّ يا أولاد فظيع ... قدم  
القصّ تدفعه العواصف ذات الأنياب الحادة ... هجم القصّ  
على الورقة وراح يعيث بمساحاتها الواسعة ... لا يترك  
اتجاهاً دون أن يزحف فيه ...

وسألنا المعلّم بعد أن رسم شكلاً ممتدّاً تنخره السّهام :

. قد أكون مخطئاً لكنني لن أهتمّ ...

كذبة كبيرة يسمونها الندم في بلدي ... يحيطونها  
بزخارف شتى ويرسمون لها بدايات أخرى كبيرة يسمونها  
الندم في بلدي يحيطونها بزخارف شتى ويرسمون لها  
بدايات أخرى وكأن ما حدث غلطة يجب نسفها ونكرانها ...  
لكنني أتساءل :

هل حاصرتني هذه الكذبة الكبيرة وأنا المتزن العاقل  
الذي يعطى لكل خطوة حسابا ... هل فاجأني الندم وأنا الذي  
لا يرى الأفق البعيد ولا يرفع رأسه إلى السماء إلا نادرا ...  
هناك الحفر الكثيرة المنتشرة بلا عدد في شوارع مدينتي كما  
أن هناك حفرا تنفتح فجأة في لحظة لأي محاولة هروب من  
غبار الأرض واختناق الخطي...

وتلك المسافة بين الخطأ والصواب هل أمكنني ادراكها  
أو حسابها ... وهذه الرغبة الجارفة ... ! أهى مفروضة عليّ  
... هل خطئي غير قادر على تجاوز هذه اللحظات السوداء...

وقبل أن أضع أمامي اختيارا ما ... فهل يعني أنني  
ساومت مبادئتي ... ؟ وهذه المبادئ التي تسبح في صدري ... !  
ما جدواها وأي أرض قادرة على احتضانها حتى تينع كزهرة  
بنفسج ...

ورغبة الرّحيل إلى أي أرض ... ! أتعبتني كذبة ما وحالة  
ندم وهروب ... ! لكنني لا أظن أن ما حصل يمكن أن يصبح  
بديلا ما دام الكل قد نسي ما وقع وما يمكن أن يقع بعد ذلك ...

ورحيلتي هو عجزتي لأنني لا أستطيع البقاء وسط الهواجس  
والغد الذي أراه مظلما قفرا محاطا بالشوك واليأس...

إن السفر لذيذ ينسي صاحبه أعباء ما كان يحمل  
ويخفف وطأة التعب والألم ... وأنت تسافر تحس بأن حياتك  
تغيرت ما دمت تشعر بمواجهة لها طعم خاص في الاكتشاف  
ومطاردة المجهول الرّحب ... في السّفر ننسى أشياء كثيرة  
ونحن نرى أن اليوم ليس كالأمس وأنّ ما سيأتي غير الذي  
رأيناه ... السّفر طرد للتعب والمجوج من الكلمات والوجوه  
... هناك بعيدا ترى وجوها أخرى غير التي تعودت رؤيتها  
كلّ صباح وكلّ مساء ... عيوننا حافلة بالأمل والضّحك ... لغة  
جديدة عليك أن تحلّل وتفسّر ما يقع بشكل مغاير تماما لما  
كنت تراه وتسمعه ... إنّه محطات تختلف عن بعضها ولها  
وقع لذيذ يزيل إحساس المحطة الواحدة والوجوه الواحدة...  
لذلك قرّرت السّفر !...

قرّرت الهروب من الأرضفة التي دكّنتني والأيام  
المتلاحقة المعبّاة باليأس والوحشة ... لا شيء يدفعني للبقاء  
والاستمرار بين عقارب مجنونة تفصلني عن الشعور بقيمة  
الزّمن ... كلّ الأيام متشابهة ولا شيء يحدث فيزيل  
الإحساس الواحد والسّأم الواحد وكأنّ الزّمن توقف فجأة  
ليستمرّ دون تغيير يحدث أو نافذة يطلّ منها فنغزل ما قد  
يأتي خطأ يحضن الجميع دفئا ... السّاعات تتوالى وكأنّها  
ساعات الأمس القريب بلا رائحة والشمس المحرقة لا تثيرها

الغييمات المتفرقة دائماً وسط تلك السّماء المحبّطة ... تلك  
السّماء التي لا يزورها قوس قزح بألوانه الجميلة...

قال عمار صديق الأيام وزميلتي في ذلك المصنّع القابع  
هناك ... :

. « دورّ الزّيرو » ... تحرّك والزّمن مجنون ولا ينتظر  
مثلك ... سابقه يا « حامد »

. كيف أرسم هذا الصّففر .. يجب أن أرسمه لأنني أنا  
الصففر ...

. في الحركة بركة ...!  
. أية بركة تعني وأنا لا أحسن رسم الصّففر لأنني  
فراغه...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

. إنّ التّهريب أقصر طريق إلى المال والراحة ...  
وأتركه يعصر أوداجه شارحا ثنايا الجبل وظلمة الليل  
وأخر عملية ناجحة مربحة...  
. ما معنى أن أظلّ هنا ...؟

ما معنى أن أواصل العيش ولا أمنيات تجعلني أحسّ  
بشمس الغد وبريقه ... بوجوده ككائن له حلم قادم ... إنّ الحلم  
هو البقاء بالنّسبة لكلّ كائن ... هو الاستمرار المنطقي لكلّ  
شيء ينبض بالحياة ما دام ينتظر ... قد يطول الانتظار أو  
يقصر لكنّه يعدّنا بشيء يشبه الصّمود والبتحدي ... يعطي



لبسماتنا مساحة أوسع ونكهة ألذ ... يجعلنا قادرين على  
الثبات دون التفكير بقرار صارم كهذا الذي أخذته...

و«عمار» ... أليس على حق عندما يقول :  
. زمننا هذا يحتاج التلون إذا لم نفطر به  
«فسيتعشى» بنا ...!

. أمواس الحلاقة ... علب السجائر ... العجلات  
المطاطية... قطع الغيار ... هذه البضائع تغنيك عن أي  
شيء... أه لو تجرب معي يا «حامد» ...!

. ألا ترغب في قصر صغير وسيارة مستعملة ...  
. أه ... لو تدرك سحر هذا العمل وأنت تسوق أحمر  
محملة وسط حلقة الليل ولذة المغامرة ... عملنا هذا لا يؤمن  
بفشل مرة أو اثنتين ... إن عملية واحدة ناجحة تغطي كل  
خسائرنا في حالات القبض عليك ومصادرة سلعك...

. «الكنتر» يا «حامد» وجهتك الأخيرة ولك أن  
تحسبها جيداً ...

إنها لعبة الكسب الثقيل السريع ...!

ماذا يمكن أن نفعل ...؟

أنا ممنوع من العمل وعليّ أن أوفر ما أحتاج إليه ...  
أرفض أن أكون عالة على أحد ... ممنوع من الحلم لذلك عليّ  
أن أجد مساحة أخرى بعيدة أستطيع أن أحلم وأتمنى فيها  
وأفعل ما أريد ... ممنوع من تحريك الشفاه ... مفروض على

الكلمة في أعماقي أن تظلّ هناك حتّى تتضخّم وتنفجر  
لتعود من جديد إلى سجنها في صدري المسكون ببراكين  
شتّى...

• ومن أكون حتى أحسّ بوجودي ...؟

أنا لا شيء ... مجرد رقم من أرقام هائلة في هذه  
المدينة النائمة بلا فم ... متى كانت مدينتي هذه تحلم ...  
متى كانت قادرة على السفر وتأسيس وجه مشرق يطارد  
الغبار والوحل ... أيامها البائسة مثل أيّامي ووجعها هو  
وجعي ولا أمنية يمكن أن تعيش مدة الانتظار ... المدة الفاصلة  
بين الأمنية وتحقيقها لا يمكن أن تحياها وحالات الاكتمال  
الآخيرة لا يمكن أن تتواصل ... كل أمنية تقتل قبل أن تكبر  
وكل حالة رفض تتوارى وراء خوف مسكونة به منذ زمن  
بعيد ... هي برعم صغير غير قادر على النمو ما دام الماء  
بعيدا والسحب لا تأتي بالفرح ...  
وكم تساءلت ... :

لم كتب عليّ أن أكون ابنا لهذه المدينة ...؟  
لماذا فرض عليّ أن أولد فيها ... لماذا لا يختار كلّ قادم  
جديد المكان الذي يريد العيش فيه ... ألا يكفي أن يأتي بلا  
اسم فيطلقونه عليه بلا سبب مقنع ... ما معنى أن نأتي هذا  
ونرحل دون رغبة في ذلك ...

كأيّ طفل يأتي في فوضى دون انتظار أو رغبة ملحة

في مجيئه ... نتيجة حاصلة بعد ليالي شتوية باردة يعيشها أبي مع أمي هلى الفراش دون تفكير فيما يمكن أن يحدث بعد ذلك ... أن تنجب والدتي أو لا تنجب فذلك أمر لا يهم والدي ولا يسعى إلى التفكير فيه أبدا ... هناك غيري من يملأ عليه البيت صياحا ومشاكل كثيرة. وكلّ قادم جديد هو رقم آخر يضاف إلى العدد الحاصل والكم الهائل في هذه المدينة المترامية بلا وجه...

المنازل الحقيبة التي تشيد كلّ يوم والشوارع الضيقة الواسعة والأزقة الملوثة لا يمكن أن تختلف عن أي مولود يقدم إلى حياة مدينتي ... الكلّ يتوالد ... أمي ومدينتي في نسق سريع مجنون بلا هدف يمكن أن يحدّد قبل ذلك...

لذلك أتيت بلا فرح أو احتفال ... ماذا أعني وأنا عاشر أخ لعائلة يصفعها الفقر وتدمرها الأوهام والأحلام ... مجرد لقمة إضافية يوفرها والدي في مشقة وتعب ...  
. دنيا كلبة ... !

ويجلس في ابتسام غامض ...! أهو سعيد حتى يبتسم ! أم أنّه تعود على مواجهة الحياة بهذه البسمة ...؟ أهذا سلاحه القادر على تفتيت كلّ الهمّ الزاحف نحوه لأن التوجّع لا يعطي إلا ألما عنيفا لا يستطيع مقاومته ... وما معنى أن تبتسم أمي أيضا وتمدّه كأس الشاي بلا شكوى ... هل أتفقا معا على دفع البشاعة بأي وسيلة وبعد بحث طويل اهتديا إلى تلك الابتسامة...

وينطلق والدي في ثرثرة طويلة مع أمي وهما يحسيان  
الشَّاي وكأنَّ الحياة ليست معقَّدة وصعبة ... يكفي أن يوفر ما  
أمكن من حاجات البيت البسيطة ليقدمها إلى والدتي كلَّ  
مساء ووجهه يرسم رحلة يوم متعب...

كنت صغيرا أيامها لا أهتم إلا بمدرستي . وكلَّما  
حاصرني تعب أقول :  
. الدنيا كلبة جرباء ...

وأبتسم كما يفعل والدي طالبا رشفة شاي حلوة ...

واليوم ...! هل يمكن أن أبتسم كما كان يفعل أبي ؟  
وهذه المدينة أنحن قادرون على تشكيلها كما يحلو لنا حتى  
تمسي أفضل يعمها الخير ويروق فيها العيش ؟! . بسمة  
والدي !.. أيمن أن أراها صادقة تنبع من أعماقه ؟.. هل  
نستطيع ذلك وسط هذه الأرقام المسكونة بالتيه والضحك  
الذي لا ملامح له ...

. ماذا يمكن أن أفعل ...؟

. أأصبح مهرِّبا !! قد أصبح مجنوننا أيضا يمسح المدينة  
طولا وعرضا كما يفعل « عمر » ذلك المسكين الذي فقد ما  
يملك حيلة وزورا ... قد أمسي مثل « الريحاني » ذلك الوجه  
الحزين المسكون بالدموع والغناء والغضب...

أشياء كثيرة تعضي في مثل سكِّين حادٍ يمزقني من  
الداخل ويردينني مقتولا عشرات المرَّات كلَّ يوم ...



أنت لم تفهم بعد كيف يجب أن تعيش ...!  
قد أكون غيبياً وفاشلاً لا أحسب الأمور جيداً وعليّ أن  
أتخاصم مع بعضي حتّى يتراءى لي طريق ما أسلكه ... أنا  
مجرد رقم فارغ وما عليّ إلا ترتيب أموري من جديد ... ماذا  
يمكن أن يجدي رفضي ومواجه مدينتي تتضخم كلّ يوم  
لتحفرنّي وتوسّع دائرة الحصار لتضيّق فتخنقني وتعبث بي  
فتدمّرني.

ماذا أفعل وأنا أرى البؤس يحفر بشاعته على الوجوه  
وينسف كلّ إحساس جميل ... أيّ طريق أختار حتّى أداوي ما  
أنفتح وأعيد لوالديّ بسمّة حافلة بالدنيا مفتوحة على  
أمنيات صغيرة ...

أذكره يقول لأمي ذات مساء ويبتسم مع أمة ... :

. سيكبر الأولاد يا « حليلة ، ونرتاح ...

ولم أفهم بعد لماذا كان والدي لا يعبأ بقدوم طفل ... هل  
كان صمته مجموعة هواجس ثقيلة أم أنّه تعود على استقبال  
الأطفال بلا اهتمام.

. وخياري للسفر ...!

كانت جدّتي لا تتوقّف قرب كانون الطّين التّعيس عن  
الحديث ... تروي لنا الغرائب والرحلات إلى البلاد النائية  
وأكداس الذهب والحلوى ولغافات الحرير الناصع وسواقي  
العسل والشّجاعة...

وبعد أن كبرت عرفت أن جدتي تتوق لحياة أخرى وأن  
الجمرات القليلة تبعث الدّفء في مفاصلها فتحلّق روحها  
بعيدا ... إلى أشياء تنام في داخلها وهي شابة تحلم ببيت ما  
وفارس ما ورغم الشيب والوهن الذي دبّ في جسدها فإنّها  
ما زالت تحمل بقايا أحلامها إذ تقول :

. ولما شربت تلك المرأة المتقدّمة في السنّ ذلك  
المسحوق عادت حسناء جميلة لها ضفائر طويلة شبه شرائط  
الليل الحالك ...

. قرّر « علي ولد السلطان » السّفَر إلى بلاد الواق  
الواق ليأتي بالتاج المدسّوس في بيت المارد الشرير الذي  
يتحوّل إلى ثعبان له سبعة رؤوس وشوكة مثل الغصن ...  
. لقد خيّر السّفَر ...

خيّرت السّفَر لأنسى ولأعيد بناء كلّ شيء دون  
فوضى... أسافر ليكون لي هدف ما أحياه وأعيشه وأشكّله  
كما أريد ... ماذا أفعل هنا ولا عمل يعطي لحياتي مغزى  
ولغدي أمنية ... ماذا أفعل هنا وكلّ ما حولي أسود يلفّني  
ويعصرني ويسدّ المخرج ...

قد أجد هناك من ينسيني أيّام القحط والبور المتوغّل  
فيّ ويعطيني نفسا آخر وفرصة حياة أفضل ... الهواء خائق  
هنا ويكاد ينسف النبض ولا أفق يمكنني أن أراه إلّا جدراننا  
صفراء تجلب الهمّ والغم ...

قلت لـ « عمّار » على رصيف المقهى

. أنا مثل ثور أعمى ...

قال :

. إذا قذفت بنصيحتي فأنت ثور أعمى ومخصي أيضا...

. والحلّ يا بطل ...

. أن تدفع برقبتك إلى الجزّار ليصبح ذيلك سوطا

تعبث به أيدي الأطفال ...

. وما رأيك في السّفَر !؟

. حماقة الفاشلين دائما ...

. كيف ... !

. من لا يستطيع رسم الصّفَر ويحوّله إلى عدد نافع

فهو غبيّ ...

. وهؤلاء الذين يعودون بالسيّارات والمال ...

. ذلك ذكاء اللّيل المظلم ولعبة أخرى أنت جرد معفّر

أمامها ...

لكن ما معنى أن أظّل عبثا ثقيلًا على والدي الصّامت...

ألا يكفي صمته المسترسل حتّى أدرك ما يخفي عنيّ من كلام

له وقع الرّصاص لو نطق به ... هل أنتظر كلماته القادمة

كالويل ... ألم يضحّ بشبابه من أجلي ومن أجل إخوة عانوا

كثيرا وأنبتهم في الصّخر فتركوه ... ذهبوا مع زوجاتهم في

ضجّة وحديث ممطّط وغضب ...

. متى كان الجبل يتألّم ... !؟

وزوجتي ... !

ألا تحسّ أنني انتهيت وما عدت ذلك الرجل الذي حلمت  
به طويلا ... أما شعرت بالقرب من حياة لا شمس فيها ...  
ماذا أعني بالنسبة إليها الآن ... ؟

أظنّها تراني مجرد هيكلي يتحرك في فراغ مقيت لا  
يحمل غير الغد المفجع والخوف ...  
. ماذا أساوي وسط هذا الكمّ الهائل من البشر ... ألا  
يكفي العمل الذي طردت منه ... ؟  
ألا تكفي الأرصفة التي تستقبلني أحضاناً تمحقني ؟ ...  
هل أنتظر حتّى تدوسني الأقدام وتسحقني في سيرها  
المجنون ولهفتها الفاجرة ...  
. أن أستعيد ما اغتصب منّي فذلك حق ...

هيهات أن أسترّد ما راح وما تقيّاه الأمس بلا نظر أو  
وزن ... بعيداً عن هذه المدينة سيكون العالم أرحب ...  
يكفيني ذلك الشعور القديم أيّام كنت أرى مدينتي هي كلّ  
العالم وليس لها آخر ...

هناك ستقبل عليّ الدّنيا بعد نكران وسأكون سعيداً  
جداً حاملاً بين جوانحي عشرات الأمنيات ...  
. ماذا يفصلني عن الإحساس الرحب ... ؟  
إنه المكان فقط ... عند ذلك يتغيّر الزّمن عندي ويمسي  
له طعم خاص وينزاح عني ذلك الثّقل الكريه وتفتح الأيّام  
صفحة أخرى مغموسة إشراقاً واحتفالاً بالوجود ...



• باباً ... أريد ربوة من الحلوى ...!  
• باباً ... أشتري لي دبا يغني ...!

ماذا سيقول عن أبيه إذا أدرك الأشياء وأصبحت له  
طلبات عديدة كما يراها عند غيره من رفاقه ...  
ألا يرى أنني لا أصلح أن أكون أباه وأنني غريب عنه لا  
يحب أن يرتمي بين أحضاني أو يقبلني كما يفعل أصدقائه  
الصغار في بيوتهم أو عند الباب ...  
وهذه المدينة ... !

• ألا ترى أنني مجرد رقم تافه تضيفه إلى كمها  
الكبير... ماذا أعطيتها وما هو الجديد الذي أتى معي حتى  
تتحمل ثقلي وهمومي ... ألم تحلم أيضا بفرحة ما يزرعها  
واحد من أبنائها فيها حتى تبترسم ... ما معنى أن تعيش  
الغصة تلو الغصة منذ صغرها إلى يومها هذا ... ألا يمكن أن  
يقدم أحد منا وعدا ما ويحققه مع الأيام حتى تسعد به ...  
كلنا يأتي وطلبات كثيرة تكبر معه وهي لا تقدر أن تعطي  
الجميع ما يريد ... قد تعترف أنني أحبها رغم أوجاعها وما  
عاشته وتحياه من أتعاب عديدة ... تعترف أنني أبنها الذي  
أحب كل رصيف فيها وكل ذرة تراب ... تثبت أنني قبلت  
وجهها وأحتضنته طويلا دون أن أطلب منها حسنة أو  
رغيفا... قدمت إليها كل ما أملك من أمنيات ممكنة ...  
• لكنني كرهت أن تظل كما هي ... !

كرهت أن يستمر الحزن والبكاء يغمر وجهها ولا

يرحل... كل شيء يمضي راحلا إلا البؤس ... البؤس مازال  
يلفها ويعتصرها حتى تقيأت أبنائها إلى الرصيف يمسخون  
الأحذية ويمدّون الأيدي ... بعضهم يعيش بنصف عقل  
والآخرون في طريقهم إلى الهبل ...

. ألا يكفي « عمر » و « الرّيحاني » و « عيشة » و «  
حدّي » و « عبد الوهّاب » والطريق المحفور ... مجانين  
مدينتي يتكاثرون وفي تزايد مستمرّ ... إفراز منطقي لحالة  
تستمرّ في الصعود الفارغ والتدنّي الأجوف ...

ما معنى أن يكون هناك متسولون لا حصر لهم ... ؟ أن  
يكون هناك صبّية في عمر الورد ينحنون على الأحذية  
النتنة ... بنيات صغيرات يرجون بعض العشرينات في  
صمت مفرغ ... <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

. متى كانت المدينة بهذا الشكل ...؟!

. طُرُ ... وألف طُرُ ...

عن أيّ مبادئ سأحدث ومدينتي خرقة بالية ... عن  
ماذا ومعظم سكّانها يعيشون على الفلفل المقلي بزيت الخشب  
والطّماطم المدكوكة في علب تنبعث منها روائح مقرّفة ما دام  
البيت خاليا من ثلاثّة ...

هل الحياة بصل وثوم وعجين ... ؟! الرّاتب التعيس  
يذهب مع بداية كلّ شهر إلى بائع الخضار والمواد المعلّبة  
والدّواء ولا ادّخار للأيّام السّود الآتية تباعا ... هذا الرّاتب

المشلول ماذا يمكن أن يفعل وسط الطلبات والحاجيات  
والضرورة ...

وذلك الذي لا يملك إلا الساعد والمقابل اليومي التعيس  
ماذا يمكن أن يفعل ...؟

قال رجل مكدود الوجه على قارعة الرصيف و « عمّار »  
يحلم بأشياء أخرى كثيرة :

. إن عمل الحظائر البخس يتطلب عرقا كثيرا وجهدا  
كبيرا ...

أجابه الجالس قربه في هم ...  
. لي أفواه مفتوحة لا تعرف غير المضغ والبلع ...  
والمقابل اليومي لا يكفي لسد ما أمكن من العيش ...  
ودهشة تبدو على وجه الآخر في تكذيب :

. الجسد أمسى موردا هاما ... الشهوة معروضة بأسعار  
تتفاوت حسب الطلب والعرض في عشرات البيوت ...  
. تف ... في غضب ورفض ...

. كل شيء يقع في الليل ... أليس الليل ساترا وصائنا  
لماء الوجه حتى لا يراق أمام الآخرين والجيران ...  
. واقضوا حوائجكم في الكتمان ...

ألا يمكن أن يكون هذا شكلا من أشكال الكتمان ... في  
حي من أحياء مدينتي عند سفح هضبة حمراء توزعت بيوت  
عديدة في فوضى على جنباتها ... فيها أشياء كثيرة ...

هذا زوج ترك امرأته وسافر بعيدا إلى العاصمة طلبا  
للرزق ومقابل يوميّ أفضل لا يعود إلّا بعد أشهر ... يعود بما  
جمع في حافلة الليل مثقل الرأس بهموم لا تحصى تنتظره  
فلا يجد غير بسمه زوجته العريضة وقبلاتها الحارة وأثاثا  
موزعا في إتيقان ...

. لمن هذا المسجل ...؟

. لقد دفعت نصفه وما زال الباقي إلى أجل غير محدد...

. وهذه الخزانة ...؟

. سقطت علينا من السماء ...

. وتلك الكراسي ...!

. ستعرف ... دعك من أسئلة التعب هذه. وجهز نفسك

لماء ساخن ولا ديون أو طلبات جيران ...

. من أين أتى كل ذلك؟ <http://Archivebeta.com>

هذا سؤال أحرق ولا يمكن أن تتفوه به .. عليك أن تفرح  
بمورد الرزق هذا دون أن تثور أو تغضب ... هل أنت الشهم  
الوحيد في هذا الحيّ المسكون بالفقر المحاصر بـ « الكنتول »  
البارد الذي يفني الغطاء ويسري في الدّم ...

**محمد حيزي**



ابراهيم بنسلطان

## قراءة في « باب الحزن ... باب الفرح ... »

• قبل الغوص :

أهداني الصديق منور النصري عمله الاول « باب الحزن ... باب الفرح » الذي صنفه بأنه رواية والصادر عن دار صامد للنشر والتوزيع في اخراج أنيق كالعادة في ربيع 1990 ويمتد على 87 صفحة.

بعد قراءة هذا العمل سأتناول العناصر التالية : مفهوم الرواية كما حدده النقاد ومحتوى هذا العمل وأبرز لوحاته ثم اللغة والأسلوب.

• تعريف الرواية :

يجمع النقاد المحدثون على أن « الرواية هي إنتاج قصصي مضخم كما وكيفا وتختص بتعدد الابطال وتشابك الاحداث وتجدها قبل النهاية ونذكر مثالين لذلك « الام » لغوركي « ومائة عام من العزلة » لفارسيا ماركيز (انظر دراسة لي بعنوان «العناصر الفنية للقصة» نشرت بجريدة «صباح الخير» بتاريخ 1990/1/25.

فهل يستجيب التعريف المذكور مع محتوى عمل منور النصري ؟

## • محوى العمل :

يتناول هذا الاثر الادبي حياة معلم مفرم بالرسم ويمارسه بشغف كبير مع التعرض لخيباته وبعض نجاحاته المجهضة واقامته معارض للرسم وطموحه لدراسة الرسم بباريس أو تدريسه ذلك لتلاميذ الثانوي فتعرض ادارة التعليم طلبه الاخير لانه ليس له شهادات رسمية كما يتناول العمل عاهة أبيه الذي فقد بصره وأمه الصابرة وبعض الاشارات الى ابيه وزوجته التي ظلت تسنده عند كل محنة وتفتح له بحبها الافاق رحبة خصوصا لما حرم مع غيره من الدراسة ليصبح متفقدًا للتعليم الابتدائي بعد النجاح في المناظرة. لانهم ليسوا معلمي تطبيق.

يسرد الكاتب أغلب هذه الاحداث في ليلة صيف اذ لا يجاوز الاطار الزماني لكل العمل بضعة ليالي صيف. وقد جاء السرد على لسان المؤلف الراوي فهو الماضي والحاضر والمستقبل وعبره نعرف الاب والام وباقي أفراد أسرته الصغيرة وبعض زملائه في التعليم والرسام الفرنسي «ديغا»، ان هذا العمل يعكس وضع البورجوازي الصغير بأنانيته المضخمة أحيانا والتي تتصور أنها مركز الكون وما عداه يأتي في مرتبة دنيا وبتأرجحه بين الاعلى والاسفل. يقول في الصفحة 42 متحدثا عن ابداعه في الرسم : « أرى نفسي متميزا عن عامة الناس بما أوتيت من موهبة قد لا يعترف بها الآخرون ولكنني ألسها في كل أعمالي

التشكيلية». ثم يقول في الصفحة 85 بعد أن تم رفضه للدراسة ليصبح متفقدا للتعليم الابتدائي : « أنا كهف يسكنه الفراغ ويمتلئ برائحة رتيبة تجلب النوم ». أما عن شخصية السارد « المعلم هنا » فتبدو جاهزة وليست نامية فلا نلاحظ تطورا في مواقفها رغم تصريحه في آخر العمل بالصفحة 78 : « وطالما النهر يجري ، فقلبي لن يفقد آخر ينبوع للفرح ».

ان هذا العمل هو في النهاية سيرة ذاتية وليس له مواصفات الرواية وليس في قلبي هذا تحقيق لعمل منور إذ فيه جوانب جد رائعة دعوتها لوحات.

• أبرز هذه اللوحات :

حين تغوص في هذا العمل تجد نفسك داخل معرض رسم لأحد كبار الرسامين وأمامك لوحات رائعة حبا وشذى ناطقة تحدثك عن طفولة المؤلف وحبه للرسم وصورة أبيه وبعض أوجه تسليته.

• اللوحة الاولى : المؤلف والرسم :

ان الألوان في هذا العمل تلامسك ، تخاطبك ولكل لون رائحته ورمزه ، يقول عن اللون الازرق بالصفحة 16 : « ما أجمل هذا اللون الازرق يشرق حتى كأنه الشاطئ في فصل الصيف أو الافق الذي ينادي للسفر في فصل الصيف ». و«الاسود لون الليل ظل المؤلف يحبه حتى لحظة اعلامه بحرمانه من الدراسة ليصبح متفقدا فصار يكرهه. والاصفر

لون التعاسة والبوس ، يقول في الصفحة 21 : « كرهت اللون الاصفر في وجهك الحزين يا أمي » ثم يواصل بنفس الصفحة : « ولمن أرسم والمدينة يكسوها اللون الاصفر ؟ » .  
• اللوحة الثانية : الاب :

ان ما ذكره المؤلف في علاقته بأبيه جد مؤثر ورائع حد الرقة بل حد الوجع أبوه كان نشرا لكن حين فقد بصره لزم البيت « ليأكل القوت وينتظر الموت » .

نحن نعرف أن الاب يظل المثل الاعلى لطفله في بداية حياته لكن المؤلف يصرخ في نهاية عمله والالم يمزقه. انه لا يريد أن يصبح مثله : « كيف آل بك الامر الى هذه الحال ؟ .. وجهك لا يعجبني . فيه هم كثير . وأنا بصراحة لا أحب أن أكون صورة منك » ص 86 .  
• اللوحة الثالثة : قوارير الجعة :

أمام اخفاقه في دراسة الرسم وتدريسه وأب ضرير يلزم البيت وحرمان من الدراسة بعد النجاح وأمام أحلام كبيرة تصطدم بواقع قاس قاحل يلجأ الراوي الى سلوى بسيطة ليتناسى كل هذا تتمثل في تناول قوارير الجعة في حانة كئيبة « بعاصمة » السباسب العليا . وقد أبدع الكاتب فقرات تصور علاقته بهذه القوارير - دون أن يفهم من كلامي هذا دعاية للجعة أو غيرها من المشروبات الكحولية - تذكرك هذه الفقرات بخمريات أبي نواس ، يقول في الصفحة 30 متحدثا عن رائحتها : « رائحة الجعة تملأ رأسك



وتنتشر في المدينة أزكى من عطر المطر ومن نسيمات الليل  
ومن شذى الأشجار « ثم يخاطب القارورة بصفحة 46 :  
« تجذب اليك قارورة ملاي وتركزها على الطاولة وتخاطبها  
كمن يتحدث الى امرأة : تعالى فأنت الليلة لي ، أريد أن  
يذوب كلانا في الآخر لتمنحيني من صفائك .. »  
• اللغة والاسلوب :

لعل منور النصري مع ابراهيم درغوثي من الكتاب  
الشبان القلائل الذين تطيعهم اللغة فتنقاد إليهم سهلة رغم  
أن منور يوغل في ذلك أحيانا حتى أنه يكرر بعض المقاطع  
والصور .

جاء استعماله لضمير المخاطب مكثفا كعادته في أغلب  
أعماله مع استعماله لضمير المتكلم أحيانا . جاء في مفتتح  
عمله بالصفحة 4 : « وأنت تجلس بالمقهى متفردا ، تنام في  
عينيك أحلام مكلومة سكنت تحت الظلام العميق كما تسكن  
الأمواج في البحر . »

أشير في نهاية هذه القراءة المتواضعة الى العنوان ،  
الا يرى منور النصري وهو الشاعر بعض الثقل في العنوان  
الذي اختاره ، حبذت لو كان : باب للحزن .. باب للفرح .. «  
عوض « باب الحزن .. باب الفرح .. » فما رأيك ؟

تبقى جوانب أخرى هامة في حاجة الى الابراز كأما  
التي صارت تحب الرسم وتهتم برسومه وقساوة الحياة في

ربوع السباسب العليا والعطش الذي يقتل الحياة هناك  
والعوز والبؤس وأحلام المعدمين والطفولة المهدورة ومظاهر  
الثراء عند أمثال صاحب السيارة الفارحة العريضة الطويلة  
والحديث عن الجنة وأسئلة المؤلف التي ظلت بلا أجوبة. لعل  
غيري يتطرق الى هذه الجوانب.

في انتظار عمل روائي حقا أقول : واصل مسيرتك  
الادبية والفنية يا منور.

ابراهيم بنسلطان



## الفهرس

العدد ٩١ - ٩٢ (جانفم - جوا ١٩٩١)

### من المجلد الثالث والعشرين

ص

- تصدير ..... قصص ..... 3
- النورس ..... بوراوي عجنة ..... 5
- عاشق العظمة ..... الناصر التومي ..... 24
- الولادة ..... مصطفى الكيلاني ..... 33
- القط الأسود ..... حمودة الشريف كريم ..... 37
- الرجل ذو السيمة ..... تعريب محمد بلحاج صالح ..... 53
- الحلاج يموت مرتين ..... فؤاد سيالة ..... 59
- حالة تقيوء مطلوب ..... خديجة الجويني ..... 66
- بائعة الحمص ..... مسعودة بوبكر ..... 85
- منمنمات على صدر طيب يافع حليلة مصباح ..... 97
- الزعيم ..... يوسف عبد العاطي ..... 103
- على أرصفة الاكتواء ..... محمد حيزي ..... 119
- قراءة في باب الحزن باب الفرع ..... إبراهيم بنسلطان ..... 135